



العدد ٤٣ - ج ٣ خاص بالمؤتمر العلمي الدولي الأول
لقسم التاريخ / كلية التربية للعلوم الانسانية / جامعة واسط بالتعاون
مع قسم التاريخ / كلية التربية/ جامعة ميسان المنعقد في ٢٥ / أيار / ٢٠٢١ م



الأمير أزبك من ططخ الظاهري: أرجل دولة أو رجل حاشية؟ صورة حية لأدواره وعلاقاته بالسلطة
المملوكية مدة نصف قرن في الفترة (٨٥٢-٩٠٤هـ / ١٤٤٨-١٤٩٨م)

أ.م.د. عبد العزيز بن فايز بن حسن القبلي

كلية الآداب- جامعة الملك سعود

aalqabli@ksu.edu.sa

المستخلص :

يستعرض البحث أهم الأعمال السياسية، العسكرية، والحضارية التي اضطلع بها الأمير أزبك من ططخ، والذي شغل مناصب هامة في السلطة المملوكية في الفترة من ٨٦٨-٩٠٤هـ. وسيفسر سرد تلك الأعمال المهمة التي قام بها أزبك الأسباب التي أدت الى توطيد العلاقة بينه وبين سلاطين الدولة المملوكية، والتي مكنته من الترقى في المناصب المهمة، وإثبات قدرته ومهاراته في شغل تلك المناصب. ومن جهة أخرى سيبين تحليل أعمال أزبك الشخصيات المهمة التي لعبت دوراً مهماً في توطيد سلطة السلاطين خشقدم وقايتباي، والعمل على استقرار الأوضاع العسكرية والاقتصادية لاحقاً. وأخيراً، ستقود تلك الأعمال والجهود إلى معرفة كيفية إدارة السلطة في القاهرة عن قرب، واكتشاف علاقة السلطان قايتباي بكبار أمرائه، وأهمية كبار الأمراء في إدارة الدولة والحفاظ على استقرارها.

Amīr Azbuk bin Ṭaṭkh al-Zāhirī: Statesman or Courtier? A vivid picture of his roles and relations with the Mamluk authority for half a century in the period (852-904 AH/ 1448-1498 AD)

**Dr. Abdulaziz Fayez Hassan Alqabli- Assistant Professor-
College of Arts - King Saud University**

aalqabli@ksu.edu.sa

The research focus on the important political, military, and civilizational works that undertaken by amīr Azbuk bin Ṭaṭkh, who held one of the largest and most important position in the Mamluk authority from 868-904 AH. Studying and analysing of the important works that carried out by Azbuk in his position will explain the causes that led to the consolidation of the relationship between Azbuk and the Mamluk sultans. Also, it will appear the causes of that helped and enabled him to advance in important positions of Cairo and demonstrated his ability and skills in all aspects. On the other hand, analysing of Azbuk's works in Cairo will shine the light in some of the political and



military figures who played a role in consolidating Sultans Khashqadam and Qāyṭibāy authority and working to stabilize the military and economic conditions later of Qāyṭibāy's period. Finally, these works and efforts will lead to get a closer acquaintance at how the authority was run in Cairo, discovering Qāyṭibāy's relationship with his amīrs, and the importance of amīrs in managing the state and maintaining its stability.

أولاً: المقدمة:

(أ) تعريف بالموضوع:

تركز الدراسة على أدوار أزيك السياسية والعسكرية والحضارية بصفته أميراً شغل عدة مناصب لها علاقة مرتبطة بصناعة الأحداث في السياسة المملوكية التي كان جزءاً منها في أوقات أخرى. لذا، يسعى البحث إلى إبراز تلك الأدوار وأهميتها وأثرها في السلطة المملوكية، وخصوصاً في فترة السلطان الأشرف قايتباي، التي أدى فيها أزيك دوراً مهماً في السلطة بصفته الأتابك والرجل الثاني في الدولة بعد الأشرف قايتباي، ويسعى أيضاً إلى إبراز المهام التي كفل بها أزيك سواء السياسية، أو العسكرية، أو الاستخبارية، أو الاقتصادية، وكيف ارتبطت تلك المهام بتوطيد الحكم المملوكي في القاهرة، خصوصاً في ظل التحديات التي واجهت السلطة المملوكية جراء الحروب الخارجية، والتمردات الداخلية، وانتشار الأوبئة والطواعين التي تسببت في أزمات اقتصادية على السلطة المملوكية.^(١) من جهة أخرى، تركز الدراسة على الدور الحضاري والاجتماعي الذي أسهم به قايتباي في القاهرة، والذي تمثل في بناء الأزيكية في القاهرة كمعلم حضاري وعمراني في العصر المملوكي. أخيراً، يوضح البحث الأسباب التي أدت إلى اشتراك أزيك في محاولة تمرد ضد الأشرف قايتباي، والتي تسببت - لاحقاً - في عزله عن منصبه كأتابك وإنهاء مسيرته السياسية في القاهرة ونفيه إلى مكة.

(ب) أهمية الدراسة وأهدافها:

تهدف الدراسة إلى حصر جميع الأعمال السياسية، والعسكرية، والحضارية التي قام بها أزيك، وكشف العلاقة ما بين تلك الأعمال بتوطيد السلطة المملوكية مدة طويلة من الزمن في مصر والشام في ظل الظروف السياسية والمالية الصعبة. وأيضاً، يبرز البحث الأسباب التي دفعت الأشرف قايتباي إلى الاعتماد على أزيك في عدد من الأدوار المهمة في نواحٍ متعددة مدة ٢٩ عامًا، وكيف استطاع أزيك كسب ثقة السلطان والقيام بالمهام الموكلة إليه بدقة عالية ومهارة؟ وستكشف الدراسة -أيضاً- عن الدور المهم الذي قدمه أزيك كوسيط ما بين السلطان والمماليك والأمراء لحل المشكلات المرتبطة



بالجوانب المالية، ونجاحه في إنهاء حالات الغضب وسوء التفاهم بين الطرفين. إن دراسة أعمال أزيك وعلاقته بالسلطة المملوكية سيكشف عن كيفية إدارة السلطة المملوكية في عهد قايتباي ومن سبقه من السلاطين، وكيفية تعامل السلاطين مع الأمراء، ويوضح الدور المهم للأمراء في الربع الأخير من القرن الخامس عشر الميلادي.

(ج) الدراسات السابقة:

لا توجد دراسة سابقة تناولت-بصفة خاصة- أدوار الأمير أزيك في تحقيق الهدوء والاستقرار واكتشاف العلاقة الوطيدة التي جمعت أزيك بالسلطة المملوكية، واستقراء العلاقة المتبادلة والودية التي جمعت الأشرف قايتباي مع أزيك، والتي أسهمت بشكل كبير في تنمية قدرات أزيك ومهاراته ما يقارب ثلث قرن من العمل السياسي والعسكري؛ لذا اقتصرت الدراسات السابقة على ذكر أزيك في الأحداث المهمة، كالحروب، والتمردات كجزء من نظام الأشرف قايتباي.

(د) مباحث الدراسة:

احتوت الدراسة على عدد من المباحث وخاتمة، ثم قائمة بأهم المصادر والمراجع، كما شملت الدراسة المحاور الآتية: أولاً: أدوار أزيك الإدارية، وثانياً: أدواره العسكرية، وثالثاً: علاقته بالأمراء والسلاطين، ورابعاً: أدوار أزيك الحضارية والدينية.

(هـ) أهم المصادر:

اعتمد البحث على عدد من المصادر التاريخية المعاصرة لفترة الأمير أزيك في الفترة من ٩٥٢ هـ إلى ٩٠٤ هـ، والتي دونت الأحداث السياسية والاقتصادية والعسكرية في فترة البحث. ومن أهم تلك المصادر: ابن إياس (ت ٩٣٠ هـ / ١٥٢٣ م)، بدائع الزهور، والحنفي (ت ٩٢٠ هـ / ١٥١٤ م)، وكتابه: نيل الأمل، والروض الباسم، والسخاوي (ت ٩٠٢ هـ / ١٤٩٧ م) وكتابه: وجيز الكلام، والذيل التام، والصيرفي (ت ٩٠٠ هـ / ١٤٩٥ م)، إنباء الهصر بأبناء العصر، وابن تغري بردي (٨٧٣ هـ / ١٤٦٩ م)، النجوم الزاهرة.

ثانياً: الأدوار الإدارية للأمير أزيك:

(أ) نشأته وتدرجه في الوظائف:

عين أزيك من ططخ^(٢) في أول منصب إداري على رتبة أمير عشرة^(٣) في جمادى الآخرة عام ٨٥٢ هـ، بعد عزل ترمز المصارع^(٤) من قبل السلطان الظاهر جقمق^(٥).^(٦) ثم رُقي في جمادى الأولى عام ٨٥٣ هـ لمنصب رأس نوبة^(٧)، ثم خازن دار^(٨)^(٩) في ربيع الأول من عام ٨٥٧ هـ. قُبِض على أزيك مع عدة أمراء من الأشرافية^(١٠) بعد دفاعهم عن السلطان المنصور عثمان^(١١) ضد الأتابك^(١٢) إينال،



وحين تولى الأشرف إينال^(١٣) السلطنة أمر بسجن عدة أمراء، ومن ضمنهم أزيك^(١٤). فأمضى أزيك مدة من الزمن مسجوناً ما بين الإسكندرية وصفد، وأطلق سراحه عام ٨٥٨هـ، وأصبح من الأمراء البطالة^(١٥) في القدس إلى أن أمر السلطان إينال بقدوم أزيك إلى القاهرة في صفر من عام ٨٦٢هـ وعينه رأس نوبة، ثم عُيّن بعد ذلك مقدم ألف^(١٦) في رمضان عام ٨٦٢هـ، وبعدها حاجب حجاب^(١٧) وذلك في جمادى الأولى من عام ٨٦٨هـ بأمر من السلطان خشقدم^(١٨).^(١٩)

(ب) منصب نيابة الشام:

أثبت أزيك مهاراته وكفاءاته الإدارية والسياسية والعسكرية بتدرجه في المناصب العسكرية في عهود كلٍ من جقمق، وعثمان، وإينال، وخشقدم؛ الأمر الذي أهله إلى اكتساب خبرة في تولي مناصب كبيرة. فقد شغل أزيك منصب نيابة الشام بعد أسر الأمير بردبك البجمقدار^(٢٠) (نائب الشام) من قبل شاه سوار؛ حيث أصدر السلطان يلباي^(٢١) أمره بتتصيب أزيك على نيابة الشام بدلاً عن بردبك في ربيع الأول من عام ٨٧٢هـ.^(٢٢) كانت أول مهمة عسكرية شارك بها أزيك بعد توليه منصب نائب الشام هي الحملة العسكرية التي أرسلها السلطان قايتباي لمحاربة شاه سوار^(٢٣) في شمال الشام بقيادة الأتابك جاني بك قلقسيز^(٢٤) في رجب من عام ٨٧٣هـ، والتي انتهت بهزيمة الجيش المملوكي وأسر عدد من الأمراء. أما أزيك فاستطاع أن ينجو من القتل والأسر، وهرب إلى حلب، وبعدها إلى دمشق.^(٢٥)

(ج) منصب الأتابكية:

بدأ السلطان قايتباي عهده بتجهيز حملة عسكرية للتصدي لتمرّد شاه سوار في بلاد الشام في رجب من عام ٨٧٢هـ؛ حيث ضمت الحملة كبار الأمراء في القاهرة، من ضمنهم الأتابك جاني بك قلقسيز وأزيك من ططخ نائب دمشق. انتهت هذه الحملة العسكرية بهزيمة الجيش المملوكي هزيمة ساحقة؛ بمقتل العديد من الأمراء والجنود، وأسر جاني بك قلقسيز وجرح أزيك من ططخ.^(٢٦) لقد أدى فقدان عدد من الأمراء الكبار في القاهرة وبلاد الشام وأسْرهم إلى تغييرات في بعض المناصب الإدارية والعسكرية، والتي من ضمنها منصب الأتابك في القاهرة؛ حيث أصدر السلطان قايتباي في محرم من عام ٨٧٣هـ أمره بتعيين أزيك من ططخ (نائب دمشق) في منصب الأتابكية بدلاً عن جاني بك قلقسيز الذي أسره شاه سوار.^(٢٧) ذكر ابن إياس أن البشارة بتعيين أزيك من ططخ في منصب الأتابكية وصلته وهو في حلب؛ لكي يستعجل في الحضور للقاهرة واستلام المنصب الجديد. فكان وصف ابن إياس لخبر التعيين بالبشارة دليلاً على عظمة وقوة منصب الأتابكية في العصر الجركسي؛ إذ سمي من تقلد هذا المنصب في القاهرة بـ(كبير الأمراء). وصل أزيك إلى القاهرة في صفر من عام



٨٧٣هـ واستلم منصب الأتابكية في القاهرة الذي أكرمه به السلطان وقلده إياه.^(٢٨) فشهد استقبال أزيك من طخ في القاهرة احتفالاً كبيراً من قبل السلطان وكبار أمرائه؛ حيث التقوا به في قطيا^(٢٩) عند وصوله، وفي ذلك قال الصيرفي: "وكان لقدوم الأمير أزيك المذكور يوم مشهود لم يشهد مثله إلا في النادر، فإن أعيان المملكة، وأمراءها احتفلوا به."^(٣٠) يتضح من هذا الاستقبال مكانة أزيك الكبيرة في قلوب الأمراء والسلطان وصعود نجمه مبكراً بواسطة منصبه السابق في نيابة دمشق؛ مما سيمنحه صلاحيات أكبر لاحقاً، فقد أشار المؤرخ بتري إلى أن أزيك تمتع بسلطات واسعة في عهد قايتباي، وكان من أبرز الشخصيات المهمة داخل الدائرة المحيطة بالسلطان قايتباي، والقريبة من صنع القرار في القاهرة.^(٣١)

لم يرغب أزيك بتولي منصب الأتابكية في البداية؛ لعدم وفاة جانبك الأتابك، لذلك أبدى أزيك امتناعه الكلي عن تولي منصب الأتابكية في البداية، ولكنه وافق بعد ذلك عند قدومه القاهرة.^(٣٢) فقد ذكر الحنفي أن السلطان قايتباي عندما اجتمع مع أزيك في القاهرة وسمع منه امتناعه عن شغل الوظيفة "تأثر منه باطناً"؛ مما جعل أزيك يوافق على تولي مهام الأتابكية وإرضاء السلطان.^(٣٣) وهذا الموقف لأزيك يمثّل احتراماً وتقديراً للأمير جانبك؛ لكونه أقدم منه في المنصب وصاحب خبرة عسكرية وسياسية، وصاحب المنصب كان لا يزال حياً في بلاد الشام، إضافة إلى أن أزيك لم يرغب في كسب عداوة جانبك ومماليكه في القاهرة، وأراد أن ينشر خبر رفضه للمنصب، وأنه أجبر على شغله بسبب رغبة السلطان، وكذلك لتفادي الاصطدام مع فصيل جانبك ومماليكه.

(د) منصب نائب الغيبة:

قرر السلطان قايتباي الخروج إلى البلاد الشامية في جمادى الآخرة من عام ٨٨٢هـ؛ لزيارة النواب والكشف بنفسه عن أوضاع القلاع في تلك النواحي بشكل مفاجئ، ومن دون إخبار كبار الأمراء بخروجه من القاهرة.^(٣٤) ثم أرسل السلطان هجان ومعه مرسوم بتعيين أزيك نائباً للغيبة^(٣٥) في مصر، وحدد واجبات الأمراء في المرسوم، والتي نصت على الآتي: "أن يتوصوا بأحوال الرعية والجنود، وأن يحضروا تفرقة الجوامك ما دام السلطان غائباً."^(٣٦) إن تولي أزيك نيابة الغيبة لأول مرة أدى إلى ارتفاع مكانته السياسية والعسكرية بشكل أكبر من السابق، خصوصاً بعد النفاق العديد من الأمراء والجنود حول مجلسه،^(٣٧) كما أن تعيين أزيك في نيابة الغيبة دلّ على مكانته الكبيرة لدى السلطان، وثقة السلطان قايتباي به، وكذلك علاقة أزيك السياسية والإستراتيجية ببقية الأمراء ومعرفته بكيفية التعامل معهم. بدأ أزيك بعد تعيينه نائباً للغيبة بإرسال عدد من المماليك كل ليلة إلى الأسواق والحارات من أجل مراقبة أحوال العامة وحفظ الأمن ومنع التجاوزات والسرقات، فقد ذكر الحنفي أن



فترة أزيك كنائب الغيبة في القاهرة شهد انتشارًا للأمن، حيث قال: "وكان الأمن والأمان حتى تعجب الناس من ذلك."^(٣٨) من جهة أخرى، امتاز أزيك في ولايته لمنصب الغيبة بازدياد نفوذه وسيطرته على الأوضاع بشكل كبير، وأصبح يحكم بنفسه في جميع شؤون الدولة، ويلتقي الأمراء والقضاة وغيرهم من الموظفين في الدولة.^(٣٩) ويذكر ابن إياس -أيضًا- أن فترة أزيك في نيابة الغيبة كانت تمتاز بالأمن والاطمئنان في القاهرة وضواحيها، ولم تقع خلافات بين الأمراء؛ فكان ذلك دليلًا على حسن سياسة أزيك ودهائه في ظل توتر العلاقات بين الأمراء، وثورات القبائل العربية المستمرة في تلك الفترة.^(٤٠)

(هـ) عزل أزيك من منصب الأتابكية:

في نهاية عهد السلطان قايتباي بدأت المشكلات الداخلية في السلطنة تظهر تدريجيًا، ولعل الطاعون الذي ضرب مصر وقرها عام ٨٩٧هـ دمر العديد من القرى الزراعية، وأدى إلى وفاة العديد من الناس؛ مما ترك السلطنة المملوكية في مأزق كبير بسبب الخسائر التي لحقت بمصر وأثرت سلبًا في المناطق الحضرية والريفية. أضف إلى ذلك، إصابة السلطان قايتباي بمرض في رمضان من عام ٩٠٠هـ؛ حيث ظن كبار الأمراء أن السلطان لن ينجو من مرضه. وفي أثناء مرض السلطان، أدت كل هذه العوامل إلى غضب غير معلن بين الأمراء رغبة في التخلص من النظام القديم والتمرد عليه.^(٤١) لذلك بدأ قانصوه خمسانة^(٤٢) بالاجتماع مع مماليكه والأمراء الموالين له ومنع باقي الأمراء من الدخول على السلطان في القلعة في أثناء مرضه؛ رغبة منه في استغلال الوضع في القلعة في حال وفاة السلطان. شفي السلطان من مرضه وعاد لممارسة عمله كالمعتاد في نهاية شهر رمضان، ولكن بدأ المماليك الجلبان بالتمرد من فعل قانصوه خمسانة ورجعوا في التخلص منه، مما أدى إلى اختفاء قانصوه من القاهرة مدة شهرين؛ خوفًا من الجلبان ورغبة منه في تخفيف حدة الأزمة في القاهرة. حينها قام الجلبان بسرقة وإحراق بيت قانصوه في قناطر السباع بتحريض من آقبردى الدوادر^(٤٣) (العدو التقليدي لقانصوه)، ثم بعد ذلك عاد قانصوه إلى القاهرة في ذي الحجة من عام ٩٠٠هـ وجمع عددًا كبيرًا من المماليك وكبار الأمراء، ولبسوا لباس الحرب وتوجهوا إلى بيت أزيك في الأزيكية، حينها اجتمع كم كبير من العسكر في بيت أزيك. وصل أنباء اجتماع العسكر والأمراء في بيت أزيك إلى السلطان الذي نزل إلى باب السلسلة وأمر الأمراء والمماليك الطائعين له بالتوجه إلى الرملة تحت قيادته، حيث لبي نداء السلطان أغلب العسكر في القاهرة، وانسحب العديد من الأمراء والعسكر من معسكر أزيك وانضموا إلى معسكر السلطان؛ مما أدى إلى ضعف موقف قانصوه وهروبه مع عدد من الأمراء خارج القاهرة.^(٤٤)



انتهت حركة تمرد قانصوه خمسمائة بفرض السلطان سيطرته على الأوضاع في القاهرة بسلام، ولكن بقيت آثار تلك الحركة في قلوب المماليك الجلبان الذين اتهموا أزيك بتدبير تلك المؤامرة للاستيلاء على السلطنة؛ لذلك أمر السلطان باستدعاء أزيك وأبقاه مدة ثمانية أيام في قاعة البحرة^(٤٥) في القلعة؛ خوفاً عليه من انتقام الجلبان الذين كانوا يترصدون له. لقد بقي المماليك الجلبان يترصدون للإيقاع بأزيك ولم تهدأ حركتهم، حينها أدرك أزيك أنه لابقاء له في القاهرة، وطلب من السلطان السماح له بالذهاب إلى مكة، فأذن السلطان له. وبذلك انتهت أدوار أزيك في عهد قايتباي في ذي الحجة من عام ٩٠٠ هـ بعد خدمته في منصب الأتابكية مدة سبعة وعشرين عامًا.^(٤٦)

لا بد من التوقف عند عزل أزيك من الأتابكية ومناقشة عدة نقاط، من أهمها: عدم مشاركة أزيك في دعم تمرد قانصوه خمسمائة ضد آقبردي الدوادار، الذي تسبب في فوضى عارمة في القاهرة؛ إذ يبدو من سرد أحداث حركة قانصوه أن أزيك لم يكن على علم مسبق بهذه الحركة فلم يشارك فيها، والدليل أنه تفاجأ بقدوم كم كبير من العسكر تحت قيادة قانصوه إلى منزله في الأتابكية. ومن جهة أخرى، لم تصدر أية أفعال من قبل أزيك أو العسكر الذين قَدِموا إلى منزله ضد السلطان لكي يتهم أزيك بدعمه أو تأييده لهذه الحركة. يتضح من تلك الأحداث أن أزيك تورط في حركة تمرد كبيرة وقعت في القاهرة بقيادة قانصوه من غير إرادته؛ حيث أراد قانصوه أن يزج أزيك في تلك الحركة من غير رضاه لضمان كسب عدد من الأمراء والعسكر في حركته ضد آقبردي. أخيراً، لم يكن لأزيك أية طموحات أو أهداف يسعى إلى تحقيقها، بل إن وضعه ومكانته المتميزة كانت مرتبطة ببقاء السلطان قايتباي في السلطة، وكذلك أيضاً لم تكن هناك عداوة مسبقة ما بين أزيك وآقبردي لتبرير رغبة أزيك في التخلص منه؛ ومن ثم يتضح أن أزيك ظلم في حركة قانصوه، وكان بمنزلة ضحية للتنافس والصراع الدامي للأمراء طامحين في السلطة والنفوذ، وأن اتهامه بالمؤامرة والتمرد ضد السلطان من قبل المماليك الجلبان لم يكن على بينة وحجة واضحة.

(و) تولي أزيك منصب الأتابكية للمرة الثانية:

غاب أزيك عن مصر مدة سنتين منفياً في مكة باختياره، ولم تذكر المصادر أخباراً عن أعماله في أثناء إقامته بمكة تلك المدة. وفي محرم من عام ٩٠٣ هـ وبعد وفاة السلطان قايتباي وتولي ابنه الناصر محمد^(٤٧) السلطنة، وكذلك بعد مقتل الأتابك تراز الشمسي^(٤٨) من قبل المماليك الجلبان؛ اجتمع كبار الأمراء مع السلطان محمد واتفقوا على دعوة أزيك ليحضر إلى القاهرة ويتولى منصب الأتابكية من جديد.^(٤٩) وعندما وصل أزيك إلى القاهرة في ربيع الأول من عام ٩٠٣ هـ وتولى منصب الأتابكية للمرة الثانية،^(٥٠) بدأ أزيك منصبه في الأتابكية بالتوسط ما بين المماليك الجلبان والسلطان محمد؛ حيث



رغب المماليك بنفقة النصر على آقبردي الدودار في الشام، لكن السلطان لم يوافق على إعطائهم تلك النفقة. فنجح أزيك كعادته بالتحدث مع السلطان وإقناعه بدفع تلك النفقات لإطفاء الفتنة، حينها وافق السلطان على دفع خمسين دينارًا لكل مملوك.^(٥١)

وفي ربيع الأول من عام ٩٠٤ هـ قتل السلطان محمد؛ فاجتمع كبار الأمراء واتفقوا على تعيين أزيك لتولي السلطنة، لكن أزيك رفض تولي السلطنة وهدد بأن يعود إلى مكة مرة أخرى إذا صمم الأمراء على تعيينه سلطانًا، وفيه ذكر ابن إياس أن كبار الأمراء قالوا لأزيك: "تول السلطنة أنت. فحلف بالطلاق ثلاثًا من بنت الملك الظاهر بأنه لن يتسلطن."^(٥٢) فاستمر أزيك في منصب الأتابكية إلى وفاته في رمضان من عام ٩٠٤ هـ، وكانت مدة توليه منصب الأتابكية للمرة الثانية عامًا وشهرين.^(٥٣)

ثالثًا: الأدوار العسكرية للأمير أزيك:

(أ) الحملات العسكرية ضد القبائل العربية:

استغلت بعض القبائل العربية، وقبائل البحيرة على وجه الخصوص انشغال السلطان قايتباي في قتال التركمان في بلاد الشام كفرصة للاستيلاء على البلاد؛ لذلك أعلنت تمردًا على السلطة في القاهرة وخرجوا عن الطاعة، وقاموا بأعمال النهب والتخريب وقطع الطرق. لذلك قرر السلطان قايتباي إرسال الحملات العسكرية واحدة تلو الأخرى من أجل إعادة الأمن والاستقرار في تلك المناطق طيلة فترة حكمه، حيث كان للأمير أزيك نصيب من قيادة تلك الحملات العسكرية ضد بعض القبائل العربية المتمردة.^(٥٤)

من أولى المهمات التي تولاهما أزيك في القاهرة بعد تنصيبه في الأتابكية، كانت حملته العسكرية إلى البحيرة التي أمر السلطان قايتباي بها في ربيع الأول من عام ٨٧٣ هـ؛ إذ كان الفساد وقطع الطرق والسرقات من قبل بعض القبائل العربية هو السبب وراء خروج الحملة^(٥٥) في تلك المنطقة.^(٥٦) لم تشر المصادر إلى تفاصيل دقيقة عن حجم الحملة أو نتائجها؛ حيث علق ابن إياس بأن أزيك بقي مدة من الزمن في البحيرة ومن ثم عاد إلى القاهرة في رجب من عام ٨٧٣ هـ، لذا فإن مكوث أزيك في البحيرة استمر مدة خمسة أشهر.^(٥٧) مما يعني صعوبة تلك المهمة؛ لرغبة أزيك في القضاء على منابع الفساد وضبط الأمور من جديد. أما الصيرفي من جهته فعلق على حملة أزيك العسكرية إلى البحيرة بأنها كانت لردع المفسدين من بعض القبائل العربية، وتحقيق الأمن والاستقرار للعامّة والفلاحين والعاملين في الزراعة؛ مما دل على الضرر الحاصل على العامّة من تعطل مصالحهم وأعمالهم بسبب تمردات القبائل في تلك النواحي. ويذكر الصيرفي أن أزيك عاد من حملته في يوم الإثنين ثالث عشر من شهر ربيع الآخر من عام ٨٧٣ هـ إلى البحيرة "بعد أن وطن أهلها



وعمل مصالحيهم"، من دون ذكر تفاصيل دقيقة عن أحداث الحملة أو القتل والقبض على المفسدين والمتسببين لتلك الأعمال الخارجة عن القانون.^(٥٨) يفهم من تلك الحادثة وتعليقات المؤرخين أعلاه مسؤولية الدولة ممثلة بالسلطان وأمرائه على تأمين مصالح العامة، والحفاظ على الأمن والاستقرار في جميع مدن الدولة وأقاليمها، وليس القاهرة ودمشق فقط.

أما الحملة الثانية بقيادة أزيك على البحيرة فكانت في محرم من عام ٨٧٥هـ بعد طلب الأمير يشبك جن^(٥٩)، كاشف^(٦٠) البحيرة النجدة من السلطان قايتباي لمواجهة فساد القبائل العربية وتمرداتها في تلك النواحي، خصوصاً بعد أن تمكن الخارجون عن الطاعة من القبائل من حصار يشبك في دمنهور والاستيلاء على المزرعات والأنعام. لذلك نرى أن أزيك استعد بشكل كبير لهذه الحملة وجمع عدداً من الأمراء والجنود للمشاركة في الحملة.^(٦١) لعل تجهز أزيك بهذا الشكل الملحوظ مقارنة بالحملة الأولى التي لم تذكر المصادر عن تفاصيلها أو حجم قوتها دليل على شدة التمردات في تلك الجهات وقوتها، ورغبة أزيك في نجاح الحملة الثانية. غير أن المصادر لم تذكر معلومات عن نتائج تلك الحملة أو كم استغرقت من الوقت في البحيرة. وفي ذي الحجة من عام ٨٧٥هـ أصدر السلطان قايتباي قراراً بعزل ابن عيسى بن بقر (شيخ عربان الشرقية) وسجنه في القاهرة، وذلك بعدما عرض على السلطان وقام بضربه وتوبيخه بالكلام، وعين السلطان بديلاً عنه بقر بن بقر.^(٦٢) هذه القرارات صدرت من القاهرة في الوقت الذي عاد فيه أزيك من حملته في البحيرة، ولعل حملة أزيك لصد اعتداءات القبائل العربية في محرم لها ارتباط بعزل ابن عيسى بن بقر، وهو الذي أشار على السلطان بتغيير بعض قيادات القبائل العربية وتعيين الموالين لتهدئة الأوضاع.

كانت الحملة الثالثة التي قادها أزيك ضد القبائل العربية في الشرقية في ذي الحجة من عام ٨٧٦هـ، أي بعد عام واحد من الحملة الثانية؛ حيث ارتبطت سنوات السلطان قايتباي الأولى من حكمه بتمردات وعصيان عدد من القبائل العربية في شمال القاهرة. وفي تفاصيل هذه الحملة أن قبيلة بني حرام وبني وائل في الشرقية بدأوا بالتمرد وقطع الطرق التجارية؛ مما أدى إلى ضرر كبير لدى الأهالي وطرق التجارة، بل وصل الحد إلى هجوم تلك القبائل على القاهرة ووصولهم إلى رأس خط الحسينية، وتسببهم في نهب الأسواق والاعتداء على العامة.^(٦٣) وفي تفاصيل اعتداءات القبائل العربية يذكر الحنفي أنهم "جالوا وعاثوا بالنواحي"^(٦٤). لذلك أمر السلطان بضرورة التصدي لهم وتجهيز حملة كبيرة بقيادة أزيك، فضمت هذه الحملة (الثالثة) التي قادها أزيك عدداً من كبار الأمراء، أمثال: جاني بك قلسيز (أمير سلاح)^(٦٥)، وأزدمر الطويل^(٦٦)، وقانصوه الخسيف^(٦٧)، وجميعهم من كبار الأمراء. نجح أزيك في القبض على عدد من أبناء القبائل -من أشهرهم موسى بن عمران- الذين تسببوا في



الاعتداءات، فغرضوا على السلطان وأمر بسجنهم، وكان هذا الأمر بعد عدة أيام فقط من انطلاق الحملة العسكرية.^(٦٨) تضمنت الحملة الثالثة لأزبك على القبائل العربية نجاحًا ملحوظًا؛ وذلك بقدرته على القبض على بعض الأشخاص المتسببين بالفوضى، بعكس الحملتين: الأولى، والثانية، اللتين لم تشر المصادر إلى نتائج ملموسة لهما. ومن هنا يجدر الإشارة إلى اكتساب أزبك بعض الخبرات من الحملتين: الأولى، والثانية، في التمرس في قتال القبائل العربية، وكذلك استعداده بضم عدد كبير من الأمراء والجنود وعدم الاستهانة بالقبائل العربية، وبذلك يكون أزبك قد نجح أخيرًا في مهمته الثالثة، والتي لم يكتب له النجاح في الحملتين: الأولى، والثانية.

عادت التمردات والاضطرابات في البحيرة من قبل القبائل العربية في صفر من عام ٨٧٧هـ، فتوجه أزبك بحملة عسكرية رابعة إلى البحيرة كالعادة؛ إذ نجحت هذه الحملة في القبض على عدد من أبناء القبائل الذين تسببوا في الاضطرابات وسجنوا في القاهرة. لذا يُذكر أن أزبك مكث عدة أيام في البحيرة لإعادة الأمور إلى طبيعتها.^(٦٩) فقد ذكر الحنفي أن أزبك عاد من البحيرة ومعه عدد من أفراد القبائل العربية مكبلين بالسلاسل، ومن ثم فإن عدم الإقدام على قتلهم والاكتفاء بسجنهم دل على أن هؤلاء الأفراد مثلوا الرأس المدبر لهذه التمردات وأعمال قطع الطريق.^(٧٠)

الحملة الرابعة التي قادها أزبك ضد القبائل العربية كانت في محرم من عام ٨٨١هـ، وكانت ضد قبائل لبيذ في البحيرة؛ بسبب قطع للطرق وفسادهم المتكرر في تلك الجهات. وقد تكررت المصادر أن هذه الحملة رغم التجهيزات الكبيرة التي ضمت عددًا من الأمراء والجنود والكشاف والولاة وشيوخ القبائل العربية الموالية للسلطة المملوكية، إلا أنها لم تكن يسيرة، وعانى الجيش مشقة كبيرة في القبض على الأشخاص الذين كانوا المتسببين في الأعمال التخريبية.^(٧١) وقد نجح أزبك بعد ذلك في القبض على عدد من الأشخاص -من بينهم شيخ عزالة- وإرسالهم إلى القاهرة.^(٧٢)

يلاحظ أن الحملات العسكرية الأربع التي قادها أزبك ضد القبائل العربية لم تسفر عن نتائج حاسمة في القضاء نهائيًا على أعمال الخراب والفساد وقطع الطرق؛ حيث كانت حملات أزبك تمثل ردة فعل لأعمال قطع الطرق شمال القاهرة، وكانت الحلول في التعامل مع القبائل العربية في تلك الجهات حلولًا مؤقتة غير جذرية. لذلك، فإن تكرار الحملات العسكرية المتتالية دليل على النجاح المؤقت الذي حققه أزبك للقضاء على أعمال الشغب، والذي سرعان ما تعود تلك الأعمال بعد فترة قصيرة من الزمن.



(ب) الحملات العسكرية ضد سوار:

اتسعت دولة المماليك الشراكسة في بلاد الشام وامتدت الحدود الشمالية لها لتصل إلى أعالي الفرات وشرق آسيا الصغرى؛ حيث جاورت القبائل التركمانية التي كانت خاضعة للسلطنة المملوكية، وغلب عليها التمرد ضد السلطنة، وكان يكمن خطر تمرد القبائل التركمانية في استغلال القوى المجاورة للسلطنة المملوكية لتلك التمردات؛ لإثارة النزاع مع المماليك، ومن أهم تلك القوى إمارة الشاة البيضاء^(٧٣) والعثمانيون^(٧٤). وهذا يوضح بدقة السبب في اتساع دائرة التمردات ضد السلطنة المملوكية في عهد الأشرف قايتباي من قبل القبائل التركمانية والقوى المجاورة للمماليك، وخصوصاً أن حكم الأشرف قايتباي استمر فترة طويلة تقارب الثلاثين عاماً؛ مما أوجب على السلطة الدفاع عن الحدود الشمالية، وتأمين المدن والعامرة في تلك الجهات وحفظها من الأخطار المحيطة بها.

بدأ السلطان قايتباي عهده بنوع من الصرامة والشدة في التعامل مع القوى المجاورة للسلطنة المملوكية في الشام وهي إمارة الدلغار^(٧٥)، التي تسببت في اضطرابات حدودية في شمال حلب، وقد بدأت الاضطرابات وشن الغارات من قبل شاه سوار في أواخر عهد السلطان خشقدم؛ حيث أرسل السلطان قايتباي حملة عسكرية أولى للقضاء على تلك الاضطرابات، ولكنها لم تنجح في مسعاها^(٧٦). لذلك بدأ قايتباي بالتجهيز لحملة ثانية أقوى وأشد من الأولى بقيادة الأتابك أزيك، حيث وصف ابن إياس تلك الحملة بـ "التجريدة الثقيلة"^(٧٧)؛ إذ كان السبب المباشر الذي استدعى قايتباي إلى سرعة تجهيز الحملة العسكرية بقيادة أزيك هو سماع أخبار عن سقوط مدينة درندة بأيدي شاه سوار، وقتل نائب درندة من قبل السلطان ابن بلبان في جمادى الأولى من عام ٨٧٣هـ، فقد ذكر الصيرفي أن خبر سقوط درندة كان عظيماً على السلطان وأمرائه في القاهرة، و"عظم هذا الأمر على المسلمين"^(٧٨). والغريب أن أمر تعيين أزيك قائداً للحملة من قبل السلطان قايتباي، قد صدر وأزيك حينها كان لا يزال في البحيرة للقضاء على تمردات القبائل العربية؛ وهذا يدل على حرص السلطان واعتماده على أزيك في المهام العسكرية منذ وصول أزيك إلى القاهرة، وتكليفه بمهمتين عسكريتين في وقت قصير^(٧٩).

عاد أزيك من البحيرة إلى القاهرة في رجب من عام ٨٧٣هـ، وتفاعلاً بأمر السلطان لتعيينه على حملة جديدة متجهة إلى الشام، فرفض أزيك وأمر السلطان بقيادة الحملة مبرراً رفضه بعدم قدرته السيطرة على الجنود في الجيش، وخاصة مماليك السلطان؛ فأعطى رفض أزيك قيادة الحملة مؤشراً إلى فقد بعض الأمراء قدرتهم على ضبط جنودهم في الحملات العسكرية وفرض قيادتهم^(٨٠)، ودل هذا الموقف -أيضاً- على الفساد وعدم انضباط الجنود المماليك، الذين بدأت سطوتهم وقوتهم تترادف ضد



الأمراء والسلاطين ابتداء من منتصف القرن التاسع الهجري. إلا أن أزيك -في الأخير- وافق كرهًا على قيادة الحملة بعد أن اجتمع مع السلطان، وأقنع بضرورة وأهمية قيادته لهذه الحملة، وهُدًا من روعه ووعده خيرًا، وهناك عامل آخر أسهم في إقناع أزيك بهذه المهمة وإذاعته لأوامر السلطان^(٨١)، وهو المبلغ الكبير الذي عرضه السلطان نفقة عسكرية على أزيك، والذي وصل إلى خمسة آلاف دينار؛ إذ كان يعدّ في تلك الفترة مبلغًا كبيرًا ومغربيًا لأزيك.^(٨٢)

خرجت الحملة العسكرية بقيادة أزيك في شعبان من عام ٨٧٣هـ بعد أن عسكر الجيش في الريدانية^(٨٣) أيامًا، إلى أن ذهب السلطان إليه في المعسكر وقابله وودعه قبيل رحيله كعادة السلاطين.^(٨٤) وفي ذي القعدة من عام ٨٧٣هـ نجح أزيك بقيادة الجيش في الانتصار على سوار وأتباعه، والاستيلاء على باب الملك الذي كان قد استولى عليه سوار.^(٨٥) إلا أن سوار في ذي الحجة من عام ٨٧٣هـ نجح في إلحاق هزيمة كبيرة بالجيش المملوكي؛ بسبب نجاحه في عمل كمين محكم لهم في مضيق بين الجبال، مما أدى إلى مقتل عدد كبير من الأمراء والجنود المماليك، وهروب البقية -ومن ضمنهم أزيك- إلى حلب.^(٨٦) يعزو الصيرفي -عند وصفه لهزيمة الجيش المملوكي من قبل شاه سوار- إلى أن أزيك كان هو المتسبب في هزيمة الجيش المملوكي؛ بسبب تغنّته في اختيار الطريق الوعر في أثناء رجوع الجيش إلى حلب بعد انتصارهم على شاه سوار، وفي ذلك يقول: وصل الجيش المملوكي "إلى مكان فيه طريقان: طريق سهل واسع... وطريق ضيق وعر...، فاختر الأتابك أزيك التوجه من الطريق الضيق، فنهوه فلم ينته."^(٨٧) لذلك، يرجع سبب الهزيمة الشنيعة التي تعرض لها الجنود والأمراء المماليك إلى سوء تصرف أزيك في قيادة الجيش في طريق عودته إلى حلب. وقد وصف ابن إياس هول مصيبة هزيمة الجيش المملوكي بأنها كانت "من الوقعات المشهورة التي لم يسمع بمثلهما، فلما شاع بين الناس نكر من قتل من الأمراء والعسكر؛ صار بالقاهرة في كل حارة نعي ليلاً ونهارًا مثل أيام الوباء."^(٨٨) وكذلك أشار السخاوي -في نفس الموضع- إلى أن كثرة الحملات العسكرية على شاه سوار لم تأتِ بنتيجة مرضية للسلطنة المملوكية، وتسببت في قتل عدد كبير من الجنود المماليك من دون الظفر بالرأس المدبر لهذه الاضطرابات في بلاد الشام.^(٨٩) لذا، يتضح من هذه النصوص هول تمرد شاه سوار والأضرار الكبيرة التي حلت على السلطة المملوكية في بداية عهد قايتباي؛ حيث صور المؤرخ بتري بأن سمعة السلطان الأشرف قايتباي -بصفته قائد السلطنة في العالم الإسلامي- بعد هزيمة جيشه من قبل شاه سوار أصبحت على المحك، خصوصًا ما بين أوساط القوى المجاورة.^(٩٠) وكانت هذه الهزيمة هي الثانية للجيش المملوكي من قبل سوار في عهد السلطان قايتباي؛ مما أدى إلى ازدياد اضطراب قايتباي وقلقه من تزايد حجم سوار وقوته، خصوصًا بعد فقد



الجيش المملوكي العديد من الأمراء المؤهلين للقتال، وصرف أموال هائلة قدرت بأربعمائة ألف دينار من أجل تجهيز الحملة الثانية.^(٩١)

عاد أزيك من الحملة العسكرية إلى القاهرة في رمضان من عام ٨٧٤هـ ومعه عدد من الأسرى من التركمان الموالين لشاه سوار، وكذلك اصطحب معه شاه بضاغ^(٩٢) أخا شاه سوار من أجل تعيينه على ملطية^(٩٣) نيابة عن أخيه شاه سوار؛ كونه موالياً للسلطنة المملوكية.^(٩٤) وقد وصف الحنفي رجوع أزيك والأمراء المماليك بأنهم كانوا في "غاية التعب والعياء والعلقة."^(٩٥) وذكر الصيرفي أن أغلب الجنود العائدين من الحملة العسكرية في بلاد الشام كانوا بحالة مزرية، وحملوا على الأقفاص،^(٩٦) وذلك إشارة إلى الصعوبة البالغة التي واجهها الجيش المملوكي في حربه ضد شاه سوار، وبذلك تكون المهمة الخارجية الأولى لأزيك بعد توليه منصب الأتابكية بالقاهرة باتت بالفشل في تحقيق أهدافها.

(ج) الحملات العسكرية ضد إمارة الشاة البيضاء (الآققوينلو):

أمر السلطان قايتباي بأن يتجهز أزيك لقيادة حملة عسكرية إلى حلب لحفظها من اعتداءات يعقوب بن حسن الطويل^(٩٧) في شوال من عام ٨٨٥هـ. وترجع تفاصيل أسباب تلك الحملة إلى ورود أنباء عن هزيمة الجيش المملوكي بقيادة يشبك من مهدي^(٩٨) بالقرب من الرها^(٩٩)، من قبل نائب الرها بايندر في رمضان من عام ٨٨٥هـ، ومقتل يشبك وعدد كبير من الأمراء في تلك الموقعة؛ لذلك رأى السلطان ضرورة تجهيز جيش جديد للحفاظ على حلب بقيادة أزيك.^(١٠٠) ولم يكتفِ السلطان بتعيين أزيك قائدًا على الحملة العسكرية، بل فوض إليه إدارة جميع المدن الشامية فيما ما يتعلق بالتعيينات والعزل، وخصوصًا في ظل مقتل العديد من أمراء البلاد الشامية في موقعة الجيش المملوكي مع بايندر وأسرهم. لقد نجح أزيك في مهمته خير نجاح عندما قاد مفاوضات مع يعقوب بن حسن الطويل بعد وصوله إلى حلب؛ حيث أرسل جاني بك حبيب^(١٠١) إلى يعقوب من أجل تهدئة الأمور بين المملكتين، وإطلاق سراح الأمراء والجنود المأسورين لديه.^(١٠٢) فأكرم يعقوب الوفد المملوكي وعبر عن ندمه بمقتل يشبك؛ مبررًا ذلك بأن قائده بايندر استعجل في قتل يشبك من دون الرجوع إليه، ثم أمر بإطلاق جميع الأمراء والجنود المأسورين لديه، وإرسالهم برفقة جاني بك إلى حلب.^(١٠٣)

أدت سياسة أزيك مع يعقوب وقيادته الحكيمة للموقف وعدم اندفاعه إلى القتال وشن الغارات إلى تجنب الجيش المملوكي أية خسائر تذكر، والنجاح في فك أسر جميع الأمراء، وتحسين العلاقة مع يعقوب والاكتفاء باعتذاره عما بدر منه. لقد كان لأخبار إطلاق سراح الأسرى وعودة الهدوء إلى البلاد الشامية وتأمين حلب صدق جيد لدى السلطان؛ حيث سر كثيرًا بسماع تلك الأخبار، خصوصًا أن



الجيش المملوكي لم يتلقَ خسائر تذكر في حملة أزيك. ثم في شوال من عام ٨٨٦هـ عاد أزيك من حلب إلى القاهرة ومعه الأمراء المطلق سراحهم، وعدد من الجنود بعد نجاح مهمته في حلب.^(١٠٤)

(د) الحملات العسكرية ضد علي دولات والعثمانيين:

بدأ علي دولات^(١٠٥) (حاكم الأبلستين)^(١٠٦) عام ٨٨٨هـ بشن غارات ضد الحدود المملوكية في حلب مدعوماً من قبل السلطان العثماني أبا يزيد^(١٠٧)؛ فأرسل السلطان قايتباي حملتين عسكريتين ضد علي دولات عامي ٨٨٨هـ و٨٨٩هـ، ولكنهما انتهتا بالفشل.^(١٠٨) لذلك قرر أن يجهز حملة كبيرة بقيادة أزيك في ربيع الأول من عام ٨٩٠هـ بعد أن تفاقمت الأوضاع في حلب، وأصبحت هيبة الدولة وعسكرها في خطر محدق من قبل القوى المجاورة للدولة المملوكية.^(١٠٩) لم تخرج الحملة المقررة بقيادة أزيك إلا في شعبان عام ٨٩٠هـ، وضم جيشه ما يقارب ثلاثة آلاف وعدد من كبار الأمراء؛ لذا وصف ابن إياس حملة أزيك وتجهيزاتها بأنها كانت من نوادر الحملات العسكرية من حيث الاستعدادات، والتكاليف، التي بلغت مائة ألف دينار.^(١١٠) كل هذه التجهيزات الكبيرة لحملة أزيك دلت على إدراك السلطان وأمرائه الخطر المحدق بهم في شمال البلاد، وتهديد السلطان العثماني للسلطنة المملوكية؛ لذلك جُهزت حملة كبيرة توازي القوة العثمانية الداعمة لعلي دولات في الحدود الشمالية.

أنتصر الجيش المملوكي بقيادة أزيك في صفر من عام ٨٩١هـ على الجيش العثماني، وأسر عدد كبير من جنود الجيش العثماني وأمرائه وأرسلوا إلى القاهرة، إضافة إلى ظفر الجيش المملوكي بعدد كبير من الغنائم من خيول وسلاح، واسترجاع مدينة أدنة للحدود المملوكية.^(١١١) وتذكر المصادر أن أحمد بن هرسك (أمير عثماني) كان من بين الأسرى الذين وقعوا بأيدي الجيش المملوكي، فضلاً عن قتل عدد كبير من الجيش العثماني الداعم لعلي دولات. وقد وصف الحنفي تلك الحادثة بقوله: "قتل آلاف من عسكر ابن عثمان، نحوًا من أربعين ألفًا، وكانت كائنة مهولة جدًا."^(١١٢) بعد انتصار أزيك على العثمانيين، عاد بالجيش إلى حلب وطال مكوثه فيها؛ مما تسبب في غضب المماليك الجلبان^(١١٣) والتمرد عليه بعد رفضهم البقاء في حلب، وإصرارهم على العودة إلى القاهرة. فأمر السلطان بتوزيع خمسين دينارًا لكل جندي في حلب من أجل إرضائهم وإبقائهم في حلب؛ لكن أزيك اجتمع بالجلبان في حلب وترك لهم حرية البقاء في حلب أو العودة إلى القاهرة.^(١١٤) لعل القصد من تصرف أزيك هنا كان لتخفيف حدة التوتر بينه وبين فئة الجنود الغاضبة من البقاء بلحب، ورغبة منه في فصل هذه المجموعة عن الجيش؛ من أجل عدم اتساع دائرة التمرد في الجيش المملوكي عليه. ثم عاد أزيك -في الأخير- مع بقية الجيش من الحملة العسكرية إلى القاهرة في ذي القعدة من عام ٨٩١هـ.^(١١٥)



أما الحملة الثانية فكانت بقيادة أوزبك ضد العثمانيين في جمادى الأولى من عام ٨٩٣هـ؛ إذ أمر السلطان بتجهيز حملة كبيرة للتوجه إلى حلب بقيادة أوزبك؛ وذلك بسبب سماع أنباء عن زحف الجيش العثماني على الحدود الشمالية ووصوله إلى مدينة أذنة،^(١١٦) حيث بلغ عدد الجنود الملتحقين بالحملة أربعة آلاف مع مجموعة من كبار الأمراء وعدد من أفراد القبائل العربية من عرب نابلس.^(١١٧) وقد ذكر الحنفي أن الحملة العسكرية الثانية التي قادها أوزبك ضد علي دولات ضمت أكثر من ستين أميراً، وكانت هذه الحملة "من نوادر التجاريد في كثرة الجند بها."^(١١٨) لقد أسفرت هذه الحملة عن انتصار أوزبك على العثمانيين ونجاحه في استرداد باب الملك بعد أن استولى عليه العثمانيون، وكان هذا الانتصار في أولى المعارك ضد العثمانيين في حملته الثانية في شوال من عام ٨٩٣هـ، وقد غنم الجيش المملوكي عددًا كبيرًا من السلاح والعتاد، واستمرت المعارك جارية بين الجيش المملوكي والعثماني في رمضان من عام ٨٩٣هـ. ثم حاصر الجيش المملوكي مدينة أذنة مدة ثلاثة أشهر، وخسر كلا الطرفين العديد من الجنود والأمراء، مما أدى إلى استسلام المدينة للجيش المملوكي وتسليم المدينة سلمياً.^(١١٩) عاد أوزبك إلى القاهرة في ربيع الآخر من عام ٨٩٤هـ بعد أن حقق انتصارًا على الجيش العثماني، واسترد كلاً من مدينتي: باب الملك، وأذنة.^(١٢٠)

كانت الحملة الثالثة التي قادها أوزبك ضد العثمانيين في ربيع الأول من عام ٨٩٥هـ، وذلك بعد سماع أنباء عن زحف الجيش العثماني إلى مدينة كوكك وتهديدهم المستمر لحدود السلطنة المملوكية في الشمال.^(١٢١) فأمر السلطان بتجهيز حملة كبيرة بقيادة أوزبك للتوجه إلى حلب على الفور وحمائتها من الجيش العثماني، وقد بلغ عدد الجيش المملوكي في هذه الحملة ما يقارب ثلاثة آلاف جندي وعدد خمسين أميراً.^(١٢٢) وكذلك فإن السلطان قايتباي منح أوزبك صلاحيات التصرف في البلاد الشامية واتخاذ جميع القرارات المهمة من دون الرجوع إليه؛ حيث احتوى كتاب السلطان لأوزبك على أنه "الحاكم المتصرف في الجميع ما شاء من غير مراجعة."^(١٢٣) وكان قصد السلطان من هذا التصرف إعطاء صلاحيات أكبر لأوزبك من أجل تشجيعه ودعمه سياسيًا، وعدم إعاقة عمله في بلاد الشام، وأيضًا لرفع قيمة أوزبك وهيبته بين الجنود وكبار الأمراء في الحملة العسكرية؛ من أجل إطاعة أوامر أوزبك. نجحت هذه الحملة وتمكنت من التوغل في الأراضي العثمانية، وتخريب عدة مدن تابعة للعثمانيين، مثل: قيسارية^(١٢٤)، ودارنزة، وكوكك، وقلعة كواره حتى لا يستفيد منها العثمانيون ويتخذونها قواعد عسكرية للهجوم على المناطق الحدودية ما بين المماليك والعثمانيين.^(١٢٥) عاد أوزبك إلى القاهرة في محرم من عام ٨٩٦هـ بعد تأمين المناطق الحدودية وإبعاد العثمانيين عن الحدود؛ حيث كان الغرض من الحملة الثالثة أشعار العثمانيين بقوة الجيش المملوكي وقدرته على صد أي عدوان



مستقبلي ضد المناطق التابعة للسلطنة المملوكية.^(١٢٦) وبذلك انتهت الحملات المملوكية ضد العثمانيين في الحدود الشمالية، يقول السخاوي: "وكان ابتداء الفتنة وتجهيز العساكر لقتال ابن عثمان في أوائل سنة ٨٨٩هـ إلى أن لطف الله -تعالى- بعباده، ووقع الصلح، وتكامل في هذا التاريخ، أعني سنة ٨٩٧هـ".^(١٢٧)

رابعاً: علاقات أزيك مع الأمراء والسلطان:

(أ) علاقة أزيك مع الأمراء والمماليك:

تميز أزيك بعلاقة مميزة مع أغلب الأمراء في القاهرة وربطته بهم علاقة ودية وأخوية. ومن المواقف المهمة التي عبرت عن تلك العلاقة، كانت شفاعته لأزيك للأمير أزيك اليوسفي^(١٢٨) عند السلطان لإعفائه من شغل منصب نيابة عينتاب؛ ففي ربيع الآخر من عام ٨٧٦هـ أمر السلطان بتعيين أزيك اليوسفي نائباً في عينتاب، ونظرًا للتوترات الحدودية في تلك المناطق مع شاه سوار لم يرحب أزيك اليوسفي بهذا القرار، وأصابه الهم إلى أن تدخل أزيك وأقنع السلطان بإلغاء قرار التعيين.^(١٢٩) فدل هذا الموقف على حرص أزيك على إرضاء الأمراء وصفو العلاقة بينهم وبين السلطان، خصوصاً في ظل حالة الحرب التي كانت تمر بها السلطة المملوكية في الشام ضد التركمان. من جهة أخرى، فإن موافقة السلطان على شفاعته أزيك في إلغاء قرار التعيين عبر عن مكانة أزيك لدى السلطان، والعلاقة الودية التي جمعت كلاً من السلطان مع أزيك.

ثم في ربيع الآخر من عام ٨٧٧هـ شفع أزيك في إخراج القاضي محب الدين بن الشحنة^(١٣٠) من حبسه في طبقة الزمام بعد عزله من القضاء، ونقله إلى بيت كاتب السر^(١٣١)؛ إذ يذكر أن السلطان غضب من القاضي ابن الشحنة وعزله من القضاء، وألزمه بعمل حساب أوقاف الحنفية مقيماً في طبقة الزمام، ولكن أزيك تشفع له عنده السلطان من أجل التخفيف عليه وتحسين أوضاعه في الإقامة، ونقله إلى بيت كاتب السر.^(١٣٢) فموقف أزيك هذا دليل على احترامه لرجال الدين وتقديره لهم، وارتباطه بهم بإصراره على تحسين وضع القاضي المعزول وتكريم محل إقامته.

تصور لنا المصادر أيضاً موقفاً جديداً قام به أزيك، وهو التوسط ما بين السلطان قايتباي ومماليكه الذين تسببوا في حالة من الشغب في ذي الحجة من عام ٨٧٨هـ، وذلك لما بدأت أعمال الشغب من قبل المماليك بعد أن تعدوا على الأمير يشبك الدوادر وأرادوا قتله، مما تسبب في حالة من القلق والخوف في القاهرة.^(١٣٣) فغضب السلطان قايتباي من مماليكه بسبب حالة الشغب هذه، وقام بإغلاق الأبواب عليهم في محل إقامتهم، وانقطعت خدمة الأمراء بالقلة لعدة أيام. فما كان من أزيك ومعه عدد من الأمراء -بسبب هذه الحادثة- إلا أن بدأوا بالتوسط بين السلطان ومماليكه من أجل



الصلح بينهم، وإعادة الهدوء والسكون من جديد؛ فانتهدت الوساطة بالصلح بين السلطان ومماليكه بعد أن قام السلطان بالقبض على الرأس المدبر لحركة الشغب وسجنه.^(١٣٤) لاشك أن تدخل أزيك كان له دور مهم في إنهاء التوتر الذي حدث من المماليك؛ حيث أدى دورًا محوريًا لإيجاد حلول منطقية ترضي الطرفين من دون المساس بسمعة السلطان. وقد أشار الحنفي إلى أن المماليك الجلبان هم من طلبوا من أزيك التوسط بينهم وبين السلطان لإنهاء الأزمة، فكان هذا دليلًا آخر على ثقة الجلبان بأزيك وحكمته وقربه من السلطان، وثقتهم بقدرته على إقناع السلطان والتلطف به.^(١٣٥)

وهناك موقف آخر قام به أزيك للشفاعة في الأمير علي شاد بك أبازا الأشرفي في رجب من عام ٨٧٩هـ، وذلك بعد أن قرر السلطان قايتباي بيعه في خان الخليلي، فتوجه أزيك إلى السلطان من أجل الشفاعة في علي شاد وإرساله إلى سيده السلطان السابق عثمان في دمياط بدلًا من بيعه. فوافق السلطان على الشفاعة؛ ولكنه أصر على نفيه إلى دمشق وتنصيبه على إمرة عشرين^(١٣٦)، وعدم مكوثه في القاهرة.^(١٣٧) أما غضب السلطان على علي شاد فكان سببه إشاعة دارت حول علي شاد بأنه أراد قتل السلطان مع مجموعة من المماليك.^(١٣٨)

ومن المواقف أيضًا، إسهام أزيك في إعادة الأمير قانصوه البجياوي^(١٣٩) (نائب حلب) إلى منصبه في جمادى الأولى من عام ٨٨١هـ بعد أن شفع له عند السلطان قايتباي؛ إذ يُذكر أن السلطان قايتباي قد غضب واستدعى قانصوه من حلب؛ بسبب الإشاعة حوله بأنه خرج عن طاعة قايتباي، ورغب في التمرد ضد السلطة المملوكية.^(١٤٠) لذلك سعى أزيك إلى التوسط بين السلطان وقانصوه وتهدئة الأجواء بينهما بعد بطلان أمر الإشاعة، وإصدار مرسوم جديد بإعادة قانصوه على نيابة حلب من جديد.^(١٤١) كما يذكر أن أزيك عرف السلطان بأن التهم الموجهة إلى قانصوه باطلة ولا أساس لها من الصحة، وسعى إلى تبرئته واستمراره في منصبه؛ وذلك لثقة أزيك بقانصوه وصحبته له.^(١٤٢) إن المواقف المتتالية من قبل أزيك تجاه الأمراء لتحسين أوضاعهم وتهدئة الأجواء بينهم وبين السلطان من جهة أخرى، دلت على الدور المحوري الذي أداه أزيك لضمان استمرار العلاقة الودية بين السلطان قايتباي وأمرائه، وخصوصًا كبار الأمراء. هذه المواقف كانت لها دور في تحقيق الاستقرار والبعث عن المناكفات والمشاحنات بين الأمراء من جهة، والسلطان من جهة أخرى. كما دلت هذه المواقف على الخبرة الإدارية والدبلوماسية التي تمتع بها أزيك في شخصيته؛ لإقناع السلطان والأمراء على تصفية المشاحنات وعودة الهدوء من جديد.

وفي جمادى الأولى من عام ٨٨٣هـ تدخل أزيك للتوسط بين السلطان قايتباي والمماليك الجلبان، وإقناع السلطان على العودة للقعة بعد أن خرج منها غاضبًا على مماليكه؛^(١٤٣) بسبب فتنة



ثارت بين المماليك في القلعة، وتحاربوا بالسيوف فيما بينهم؛ فأدى هذا الأمر إلى غضب السلطان على ممالিকে وخروجه من القلعة إلى شطنوف^(١٤٤). وكعادة أزيك ودوره المحوري المهم لتهدئة الأمور والتوسط ما بين المماليك والسلطان؛ نجح في إقناع السلطان على العودة للقلعة بعد اعتذار المماليك الجلبان له، وفي ذلك ذكر ابن إياس أن السلطان عاد إلى القلعة بعد جهد كبير، ورفض مستمر من قبله للعودة إلى القلعة^(١٤٥). يبدو من المهام التي قام بها أزيك للصلح بين السلطان والمماليك والأمراء أنها كانت ناجحة، ولم يخذل أزيك في تلك المهام؛ لوجهته وقيمته السياسية لدى جميع الأطراف. وهذا الموقف دليل على حكمة أزيك ورغبته الدائمة في تهدئة الأمور، وإيجاد حلول عملية لإرضاء الطرفين بوقت مبكر؛ لكيلا تتسع رقعة الخلاف بين الأطراف مما قد يؤدي إلى تهميش شخصية السلطان والتقليل من هيئته أمام ممالিকে وأمرائه.

ومن المواقف الأخرى التي شهدت شفاعة أزيك وتوسطه بين السلطان والأمراء كان في شوال من عام ٨٨٥هـ، وذلك حينما غضب السلطان من ترمز الشمسي^(١٤٦)؛ بسبب رفض ترمز تعيينه في نيابة الشام، وتلفظ السلطان عليه في مجلسه. هذا الموقف أدى إلى غضب ترمز ومكوته في منزله مدة طويلة، ورفض أوامر السلطان بنفيه إلى مكة، حينها بادر أزيك بالصلح بين السلطان وترمز، ونجح في إقناع ترمز على الخروج من منزله والطلوع إلى القلعة ومقابلة السلطان؛ للاعتذار عما بدر منه، مما أدى إلى انتهاء الأزمة ما بين السلطان وترمز، وإلغاء أمر نفي الأخير إلى مكة^(١٤٧).

وفي شوال من عام ٨٨٦هـ في أثناء عودة أزيك من حلب إلى القاهرة وإقامته في القدس، أحضر معه متقال البرهاني (مقدم المماليك^(١٤٨) سابقاً في القاهرة، والذي نفي إلى القدس)؛ فغضب السلطان عند سماعه أن برهان قدم إلى القاهرة من دون إذنه وأمر بنفيه إلى مكة عقاباً له، حينها تدخل أزيك للصلح والتوسط بين السلطان ومتقال وحاول مراراً عديدة؛ من أجل إلغاء أمر نفي متقال إلى مكة وثني السلطان عن رأيه، كونه السبب وراء جلب متقال إلى القاهرة^(١٤٩). وفي ذلك قال ابن إياس: "إن الأتابكي أزيك شفع فيه [أي متقال] وبأس رجل السلطان مرارا عديدة." حينها أمر السلطان بإلغاء قرار نفي متقال إلى مكة والاكفاء بنفيه إلى القاهرة. وفي هذا الموقف عدة دلائل منها، أن أزيك كان حريصاً بشكل كبير على عدم إلحاق الضرر بمتقال، وخصوصاً أنه كان في حمايته وصحبته من القدس إلى القاهرة، لذلك لم يرغب أزيك باهتزاز هيئته وسمعته بين الأمراء والمماليك؛ ويقال إنه لم يحم الأمراء والمماليك الذين كانوا بصحبته. والدليل على ذلك أن أزيك كان مصراً بشكل كبير على التوسط لمتقال وتغيير رأي السلطان حوله، لدرجة انحناؤه إلى رجلي السلطان وتقبيلها لكي يعفو عن متقال، فهل كان هذا الفعل من قبل أزيك محبة إلى متقال، أو حرصاً منه على حفظ سمعته في القاهرة؟



خصوصاً بعد رؤية الأمراء والمماليك متقال وهو في صحبة أزيك لحظة دخوله القاهرة. وكذلك كشف هذا الموقف عن تفضيل الأمراء النفي إلى القاهرة بدلاً من مكة أو القدس؛ نظراً لمكانة القاهرة وقربهم من أهاليهم وبقية الأمراء، ويظهر هذا الأمر عندما عفا السلطان عن نفي متقال إلى مكة والاكتماء بنفيه إلى القاهرة بعد قبول شفاععة أزيك، وكان نفي متقال إلى القاهرة بدلاً من مكة اعتُبر ميزة لمتقال وتقديراً لشفاعة أزيك.

تدخل أزيك في الصلح ما بين برسباي قرأ^(١٥٠) (رأس نوبة النوب)^(١٥١) والمماليك الجلبان في جمادى الأولى من عام ٨٨٨هـ، بعد أن ثار المماليك ونهبوا بيت برسباي وأحرقوه؛ وكان السبب في ثورة المماليك هو الانتقال من برسباي بعد أن حكم على أحد المماليك بالضرب نظير سرقة ثوباً من أحد التجار، لذلك انتقم خشداشية^(١٥٢) المملوك من برسباي بالثورة عليه. تسبب تمرد المماليك في حرق سوق الشرب، وإقفال الأسواق، واضطراب الأوضاع في القاهرة لعدة أيام، حينها تدخل أزيك وبدأ يتحدث مع المماليك الجلبان وبرسباي مما أدى إلى تهدئة الأوضاع وإيقاف حركة السرقة والتمرد.^(١٥٣) فيلاحظ من هذا الموقف أن أزيك لم يقتصر إصلاحه على السلطان وأمرائه أو مماليكه، بل إنه أسهم أيضاً في إصلاح الشأن وتهئية الأمور ما بين الأمراء والمماليك الجلبان، مما دل على مكانة أزيك لدى جميع الفئات واحترامهم له.

في ذي الحجة من عام ٨٩١هـ تمرد ضد السلطان قايتباي عدد من المماليك الجلبان العائدين من الحملة العسكرية ضد العثمانيين في حلب؛ مطالبين إعطاءهم نفقة النصر على الجيش العثماني؛ إذ ما لبث هذا التمرد حتى تطور بشكل سريع، حيث لبس المماليك السلاح وهددوا بسرقة الأسواق والهجوم على بيوت كبار الأمراء، فاجتمعوا حينها مع آقبردي الدوادر لكي يتحدث إلى السلطان لإعطائهم نفقة النصر ويزيد مراتب اللحم والعليق لهم، إلا أن آقبردي لم يتمكن من إقناع السلطان على إعطاء الجلبان مطالبهم وإنهاء الفتنة؛ مما أدى إلى تطور الأزمة عدة أيام تزامناً مع إغلاق الأسواق، وخشية الأمراء من حرق وسرقة بيوتهم. فتدخل أزيك كالعادة، واجتمع بالسلطان وأقنعه بالمنطق على ضرورة دفع نفقة الجلبان مهما كلف الأمر، فوافق السلطان على منح خمسين ديناراً لكل جندي بعد شهر من تاريخ الإعلان، مما ساعد على خمد الفتنة والتمرد، وسكون الحال في القاهرة.^(١٥٤) وبذلك انتصرت دبلوماسية أزيك في التوسط وإقناع السلطان على حل الأزمة مع المماليك وإرضائهم لسرعة إنهاء الأزمة.



(ب) علاقة أزيك مع السلطان قايتباي:

أشارت المصادر إلى أن هناك مواقف كثيرة حصلت لأزيك مع السلطان قايتباي؛ مما يدل على المكانة الكبيرة التي حظي بها أزيك لدى السلطان، ومنها على سبيل المثال: غضب السلطان ونكده؛ بسبب غضب أزيك على الأمير تغري بردي ططر^(١٥٥) الذي تعدى على أزيك لفظيًا في أثناء لعبهما الكرة في الحوش السلطاني بحضور السلطان. وأشار ابن إياس إلى أن أزيك بعد تلك الحادثة نزل إلى داره كالغضبان، فتأكد في ذلك اليوم السلطان غاية النكد بسبب ذلك.^(١٥٦) فكان هذا الموقف دليلًا على علاقة السلطان الوطيدة بأزيك، وعدم رضائه على تصرف تغري بردي ططر؛ لقيمة أزيك ومكانته لدى السلطان.

من جهة أخرى، اعتاد السلطان على اصطحاب أزيك في أثناء رحلاته للنزهة. ففي صفر من عام ٨٧٧هـ اتجه السلطان إلى دمياط ورشيد للتنزه واصطحب معه أزيك، وكانت رحلتهم عبر نهر النيل في عدة مراكب؛ إذ استمرت رحلة أزيك مع السلطان مدة ثلاثة عشر يومًا.^(١٥٧) وكذلك في رمضان من عام ٨٧٩هـ اصطحب السلطان أزيك في رحلته إلى الطرانة للتنزه والإقامة هناك عدة أيام.^(١٥٨) ولم تشر المصادر إلى اصطحاب السلطان أمراء آخرين غير أزيك، وهذا دليل على أن أزيك كانت له حظوة لدى السلطان؛ بإرادته التنزه معه شخصيًا مع عدد من المماليك للحراسة وتوفير الأمن لهما في هذه الرحلة.

قام السلطان قايتباي برحلة أخرى إلى طراً في صفر من عام ٨٨٠هـ، وكالعادة اصطحب معه أزيك خصوصًا بعد عودة أزيك من الحج؛ حيث مكث أزيك مع السلطان في طراً عدة أيام، وقدم للسلطان في أثناء رحلتهم وليمة كبيرة احتفالاً بالسلطان.^(١٥٩) وفي العام ٨٨٠هـ نفسه، وتحديداً في رجب خرج السلطان قايتباي قاصداً بيت المقدس ومعه أزيك وعدد من كبار الأمراء.^(١٦٠) وقد شملت زيارة السلطان قايتباي بيت المقدس أعمال خير في القدس والخليل، وتغييرات إدارية في بعض المناصب في نيابة غزة. الجديد في هذه الزيارة أنها لم تكن للتنزه مع أزيك، بل للقيام بمهام إدارية بصحبة أزيك.^(١٦١) وأما السفرة الثالثة للأمير أزيك مع السلطان قايتباي، فكانت في ذي القعدة عام ٨٨٠هـ، حيث اتجهوا إلى الفيوم لزيارة البستان الكبير الذي أنشأه الأمير خاير بك حديد^(١٦٢)، الذي احتوى على طاحون يعمل بالماء.^(١٦٣)

وفي ربيع الأول من عام ٨٨٢هـ توجه أزيك بصحبة السلطان قايتباي مع عدد من الأمراء إلى الإسكندرية من أجل زيارة المدينة، والاطمئنان على الأوضاع في تلك الجهات الشمالية.^(١٦٤) تذكر المصادر أن أزيك حمل القبة والطير على رأس السلطان عندما دخل الموكب السلطاني إلى



الإسكندرية وسط فرجة العامة واستقبال نائب الإسكندرية، حيث استمر مكوث أزيك مع السلطان في الإسكندرية مدة أربعين يومًا، وتعد هذه من الرحلات الطويلة التي مكث بها أزيك مع السلطان داخل مصر.^(١٦٥) ثم في نفس العام ٨٨٢ هـ شهر جمادى الأولى، كانت استضافته أزيك للسلطان في داره الجديدة في الأزيكية، وحضر السلطان مصطحبًا عددًا من الأمراء والمماليك ومكث عدة أيام في ضيافة أزيك. وذكر الحنفي أنها "كانت ضيافة حافلة جدًا حضرها السلطان بأمرائه وخواصه، وبات هناك، ثم حين أراد الركوب منها قدم له هدية حافلة جدًا."^(١٦٦) فكان هذا الحدث دليلًا على تميز أزيك بالضيافات المميزة التي احتوت على بذخ وأموال وهدايا مقدمة للسلطان، سواء في مناسبات عامة أو في غير مناسبات.

ومن الأدوار المهمة التي أداها أزيك بصفته أتابك الجيش في القاهرة ومستشارًا ومقرَّبًا من السلطان، إشارته على السلطان قايتباي في ذي الحجة من عام ٨٨٩ هـ أن يرسل سفيرًا إلى السلطان العثماني أبا يزيد محملًا بالهدايا لتخفيف حدة التوتر بينهم. ويذكر أن علي دولات (حاكم الأبلستين) بدأ يشن الغارات ويتسبب في مشكلات حدودية في الشمال مدعومًا من السلطان العثماني أبا يزيد؛ فتسببت هذه التوترات بإرسال عدة حملات عسكرية مملوكية انتهت بالفشل في صد اعتداءات علي دولات، لذلك وافق السلطان على اتخاذ الأسلوب السياسي والدبلوماسي مع السلطان العثماني وعلي دولات بعد مشورة أزيك له.^(١٦٧) لم تنجح السفارة إلى السلطان العثماني؛ بسبب رفض العثمانيين السلام ورغبتهم في دعمهم المستمر لعلي دولات، ولكن مشورة أزيك كانت مهمة من أجل بذل الوسائل الدبلوماسية والسياسية مع القوى المجاورة كخطوة أولى، قبل استخدام القوة العسكرية كحل نهائي وأخير للأزمة المشتعلة بين الطرفين، وأيضًا رغبة في حقن دماء المسلمين.^(١٦٨)

خامسًا: أدوار أزيك الحضارية والدينية:

(أ) حج أزيك:

قرر أزيك الحج إلى مكة، وبدأ بالتجهيز والاستعداد للخروج للحج في شوال من عام ٨٧٩ هـ بصحبة زوجته خوند ابنة الظاهر جقمق، ويُذكر أن حملة الحج التي في عام ٨٧٩ هـ كانت كبيرة؛ إذ ضمَّت عددًا من الأمراء من أهمهم أزيك اليوسفي، وعددًا من المشايخ، وفي مقدمتهم الشيخ أمين الدين الأقصري^(١٦٩)، كذلك ضمت الحملة زوجة السلطان فاطمة.^(١٧٠) فخرج أزيك برفقة الحج ومعه عدد كبير من الأمراء لعله قد أعطى انطباعًا آمنًا لدى السلطان وارتياحًا؛ لذلك أرسل زوجته برفقة الحج دون القلق عليها.



(ب) بناء الأزبكية:

بدأ أزيك في عمارة الأزبكية^(١٧١) في عام ٨٨٠هـ، بعد أن كانت منطقة خراب في جنوب القاهرة. في البداية، أراد أزيك البحث عن مكان لكي يكون مرتعًا لجماله؛ حيث كانت منطقة اللوق بالقرب من مكان إقامته^(١٧٢). فبدأ أزيك بتعمير اللوق، وبنى عمارات كبيرة، وعدة مقاعد ومزارع وغيرها من الأمور من أجل إحياء المنطقة؛ لكنه فيما بعد أعجب بالمنطقة واستحسن استكمال العمارة هناك، ولم تقتصر العمارة على تسكين جماله فقط، بل أحضر الأبقار ومعدات الحراثة، ثم قام بحفر بركة مياه كبيرة وربطها بالخليج الناصري لتوصيل المياه إلى البركة، وكذلك قام بتجديد عمارة قنطرة خليج الذكر القديم. ذكر ابن إياس أن أزيك في عمله في الأزبكية قد "تعب في ذلك تعبًا عظيمًا حتى تم له ما أراد من ذلك، فكان في قوة الحر يدور خلف المحاريث في الكيمان وغيرها"^(١٧٣) كانت التكلفة الإجمالية لبناء الأزبكية تقدر بقرابة مائتي ألف دينار^(١٧٤) ولاشك أن بناء الأزبكية يعد عملاً حضاريًا مهمًا في القاهرة، وقد سجل باسم الأمير أزيك لكي تكون بمكانة متتزه للأمراء والعامه في القاهرة. كما أن هذا العمل الحضاري دليل على أهمية أزيك ودوره الكبير في الشؤون السياسية والعسكرية، ومساندته للسلطان قايتباي؛ حيث توج هذا الدور ببناء صرح حضاري مهم حتى أصبح معلمًا مخلصًا باسمه مستمرًا إلى يومنا الحالي.

نكرت المصادر أن الأمراء والتجار والعامه أعجبوا بعمارة الأزبكية؛ فبدأوا يبنون المباني الفاخرة حول بركة الأزبكية في الفترة من ٨٨٠هـ إلى ٨٩١هـ، حتى أصبحت مدينة منفردة^(١٧٥). ثم أنشأ أزيك جامعًا في الأزبكية ضمت مئذنة كبيرة، وفي ذلك يقول الشيخ شمس الدين القادري:

بَنَى جَامِعًا لِلَّهِ يَلْتَمِسُ
الرِّضَى
بِهِ وَنَجَاةً مِنَ الْيَمِّ عَقَابِهِ

وَفَكَّرَ فِي الْحَشْرِ الَّذِي
عَقَابُهُ
طَوَالَ يَهُوُلُ الْمَرْءَ قَطْعُ
عَقَابِهِ

فَأَكْرَمَ بِهِ مِنْ جَامِعٍ مَنْ ثَوَى
بِهِ
فَلَمْ يَخْلُ مُنْشِيهِ إِذَا مِنْ
تَوَابِهِ^(١٧٦)

كما قام أزيك أيضًا بتعمير الربوع والحمامات والطواحين والأفران حول الجامع الجديد، وقد حضر افتتاح الأزبكية عدد كبير من الأمراء، وعند الانتهاء من عمارة الأزبكية أنعم السلطان قايتباي



على أذربك بأرضها، وكتب له وثيقة تملك. ثم تحولت أرض الأذربكية إلى وقفٍ على خزائن السلاح. سكن أذربك بالأذربكية مدة طويلة من الزمن حتى مات بها.^(١٧٧) وهنا يجد الإشارة إلى قرار السلطان قايتباي بمنح أرض الأذربكية كاملة إلى أذربك؛ إذ يعد هذا الأمر دليلاً واضحاً على العلاقة المتميزة بينهما، ومساندة السلطان الدائمة لأذربك، خصوصاً ونحن في صدد الحديث عن معالم حضارية احتكر السلاطين المماليك الشراكسة السابقين هذه المعالم بأسمائهم وخصوها بأموالهم وألقابهم. لعل هذا الأمر المستجد يدل على تنامي قوة الأمراء وهيبتهم على حساب السلاطين في الربع الأخير من عمر الدولة المملوكية.

زار السلطان قايتباي للمرة الأولى الأذربكية في جمادى الأولى من عام ٨٨٢هـ بعد انتهاء أذربك من تعمير قاعات في تلك النواحي؛ حيث عزم أذربك السلطان بعد الانتهاء من إنشاء قاعات الأذربكية، فقبل السلطان الدعوة ونزل إلى الأذربكية ومكث فيها عدة ليال، وقدم أذربك ضيافة كبيرة للسلطان في أثناء أقامته في الأذربكية، وأما الهدايا التي تقدم بها أذربك إلى السلطان فلم يقبلها السلطان واعتذر عن أخذها.^(١٧٨) وفي شعبان من عام ٨٩٠هـ افتتح أذربك خليج بركة الأذربكية، وقدم دعوات لكبار الأمراء للقدوم إلى القصر المطل على الخليج وتناول وجبة الغداء.^(١٧٩)

(ج) عمارة القناطر في الجيزة:

كانت عمارة القناطر من الأعمال المهمة التي قام بها أذربك في الجيزة، والتي كانت بأمر من السلطان قايتباي. بدأت أعمال بناء القناطر في عام ٨٨٤هـ بأمر من السلطان، وأمر أذربك بأن يكون مشرفاً على البناء، ويتابع أعمال البناء على القناطر.^(١٨٠) ثم في شعبان من عام ٨٨٥هـ انتهوا من عمارة القناطر وتكريم السلطان لأذربك؛ كونه مشرفاً على البناء، فقد ذكر ابن إياس أن السلطان قايتباي بعد الانتهاء من عمارة القناطر قام و"أخلع علي الأتابكي أذربك بسبب ذلك كونه كان شاداً على العمارة." مثلت قناطر الجيزة أثراً مهماً في القاهرة، وبلغت تكلفة البناء مائة ألف دينار.^(١٨١) ومن محاسن قناطر الجيزة أنها اشتملت على رصيف للمسافرين في مراكب النيل لتسهيل حركة نقل مراكب النيل، واحتوت القناطر على بركة وبستان للسلطان قايتباي.^(١٨٢) لاشك بأن عمارة الأذربكية التي سبق وأنشأها أذربك وأبدع في عمارتها، جعلته خبيراً في أعمال البناء والإشراف على المباني الحضارية الأخرى في القاهرة، التي من أهمها قناطر الجيزة؛ لذلك نرى السلطان يوكل أعمال الإشراف على قناطر الجيزة لأذربك بالكامل. هذا الأمر أعطى انطباعاً بخبرة أذربك في أعمال البناء والعمارة. ثم في ذي القعدة من عام ٨٩٧هـ كلف السلطان قايتباي أذربك أن يشرف على تجديد عمارة الميدان الناصري



والانتهاء من هذا العمل في أقرب فرصة، مما يدل على ثقة السلطان بأزبك وخبراته في أعمال البناء والعمارة والترميم.^(١٨٣)

بدأ أزبك في جمادى الآخرة من عام ٨٩٩هـ بترميم المدرسة المنصورية في القاهرة، وأضاف بناء قبة على المدرسة، كذلك جدد المنبر وأمر بأن تبدأ خطب الجمعة في المدرسة المنصورية لأول مرة؛ حيث لم يعهد من قبل إقامة الخطب في المدرسة.^(١٨٤) ويلاحظ هنا تنوع العمانر التي قام بها أزبك وأشرف على ترميمها، والتي شملت المباني الدينية، والاستراحات، والقناطر، وغيرها من المباني التي عمت بنفعها على العامة والأمراء.

سادساً: الخاتمة والنتائج:

استعرض البحث أدوار الأمير أزبك من ططخ الظاهري وعلاقاته بالسلطة المملوكية، وقد توصل إلى النتائج الآتية:

- اعتماد السلطان قايتباي على أزبك في قيادة الحملات العسكرية ضد القبائل العربية في مصر وإمارة دغاير التركمانية في بلاد الشام.
- أدى أزبك دورًا مهمًا في توطيد العلاقة بين الأمراء والسلطان قايتباي؛ بتدخله وشفاعته لهم عند السلطان، وكان ذلك دليلاً على الخبرة الدبلوماسية والإدارية التي تمتع بها أزبك، والتي بدورها أسهمت في تحقيق الهدوء والاستقرار في سلطة قايتباي.
- الكشف عن العلاقة الودية المميزة بين أزبك والسلطان قايتباي، والمكانة الرفيعة التي حظي بها أزبك لدى السلطان وإخلاصه له؛ وذلك بأعماله، وبذل مجهوداته العسكرية، والدبلوماسية، والسياسية لتحقيق الاستقرار.
- اصطحاب السلطان لأزبك كمرافق ومستشار رئيسي للسلطان قايتباي في رحلات التنزه الخاصة به.
- قدم أزبك دورًا مهمًا في التوسط بين السلطان قايتباي والمماليك في القاهرة لإنهاء حالات الغضب وسوء التفاهم بين الطرفين؛ مما دل على حكمته وقيمه السياسية والعسكرية لدى جميع الأطراف، والتي قادته إلى إيجاد حلول عملية لإرضاء جميع الأطراف.
- إبراز الدور الحضاري المهم الذي قام به أزبك مهم في القاهرة، وذلك بإنشائه للأزبكية وتعميرها من جديد كمننته.
- إبراز أدوار أزبك الحضارية وخبرته في أعمال البناء والعمارة، وإشرافه على العديد من المباني الحضارية، كالأزبكية وقناطر الجيزة.



- تربة أزيك من اشتراكه في مؤامرة ضد السلطان قايتباي، وانتهاء مسيرته السياسية بطريقة لا تليق بمكانته.
- تميز أزيك في ضيافته المميزة للسلطان وخواصه وتبادل الهدايا بينهما، دليل على وفرة الأموال والبذخ في تلك الفترة.
- نجاح أزيك في منصب نائب الغيبة وضبطه للأوضاع في القاهرة دليل على مهارته السياسية، وقدرته على القيادة السياسية واعتماد السلطان عليه.
- بيان دور أزيك في إعادة الأمن والاستقرار إلى المدن المصرية، والقضاء على تمردات وأعمال تخريب بعض القبائل العربية؛ مراعاة لمصالح العامة، واستمرار الأعمال والحياة الاقتصادية في تلك المدن.
- ترأس أزيك لمعظم الخطط العسكرية بعيدة المدى في مصر والشام؛ وذلك بتقديم المشورة للسلطان، وتحديد السياسة الداخلية والخارجية بعيدة المدى.

الهوامش :

- (١) للمزيد انظر سعيد عاشور، العصر المماليكي في مصر والشام، بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٩٤م، ص ١٨٣-١٨٤.
- (٢) أزيك من ططخ الأشرفي الظاهري جقمق، جلبه الخوجا ططخ من بلاد جركس، فاشتره الأشراف برسباي عام ٨٤١هـ، ثم اشتراه الظاهر جقمق، تولى الأتابكية عام ٨٧٣هـ في عصر السلطان قايتباي، توفي عام ٩٠٤هـ. شمس الدين محمد عبدالرحمن السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، عمان: وزارة الثقافة، ٢٠١٠م، ج ٢، ص ٢٧٠-٢٧٢.
- (٣) أمراء العشرات: هي من ضمن الرتب العسكرية، ويخدم كل أمير منهم عشرة مماليك أو فرسان، وأمير العشرة يقود في الحرب عددًا من جنود الحلقة، قد يصل إلى أكثر من عشرة فرسان. غريس الدين خليل بن شاهين الظاهري، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، تحقيق: بولس راويس، باريس: المطبعة الجمهورية، ١٨٩٤م، ص ١١٣؛ أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، تحقيق: فوزي محمد أمين، القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠٠٤م، ج ٤، ص ١٤-١٥.
- (٤) تمتاز البكتري المؤيدي المصارح، شغل عدة مناصب في السلطة المملوكية مثل: نائب القدس، وشاد بندر جدة. السخاوي، الضوء اللامع، ج ٣، ص ٣٥.
- (٥) هو السلطان الملك الظاهر سيف الدين أبو سعيد جقمق العلائي الظاهري الجركسي، وهو الرابع والثلاثون من ملوك الترك وأولادهم بالديار المصرية، والعاشر من الجراكسة، تسلطن بعد خلع الملك العزيز يوسف بن الملك الأشراف برسباي عام ٨٤٢هـ، كان جقمق من مماليك الظاهر برقوق، توفي عام ٨٥٧هـ. جمال الدين أبو المحاسن يوسف ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق: فهمي محمد شلتوت، القاهرة: المكتبة العربية للمعارف، ٢٠٠٨م، ج ١٥، ص ٢٥٨-٢٥٩.

- (٦) عبدالباسط بن خليل بن شاهين المطي الحنفي، نيل الأمل بذيل الدول، تحقيق: عمر عبدالسلام تدمري، صيدا: المكتبة العصرية، ٢٠٠٢م، ج ٢، ٥، ص ٢٥٧؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١٥، ص ٣٨٣؛ شمس الدين محمد عبدالرحمن السخاوي، التبر المسبوك في ذيل السلوك، تحقيق نجوى مصطفى كامل، د. لبيبة إبراهيم مصطفى، القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، ٢٠٠١م، ج ٢، ص ٢١٣؛ محمد بن أحمد ابن إياس الحنفي، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق: محمد مصطفى، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٥م، ج ٢، ص ٢٦٥.
- (٧) رأس نوبة: وظيفة يقوم صاحبها بالحكم على ممالك السلطان والأخذ على أيديهم. القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٤، ص ١٨.
- (٨) الخازندارية: وموضوعها التحدث في خزائن الأموال السلطانية من نقد وقماش وغير ذلك. القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٤، ص ٢١.
- (٩) الحنفي، نيل الأمل، ج ٢، ق ٥، ص ٢٨٨.
- (١٠) الأشرافية: هم ممالك السلطان الأشرف برسباي الذي حكم في الفترة من ٨٢٥-٨٤١هـ. عبدالباسط بن خليل بن شاهين المطي الحنفي، الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم، تحقيق: عمر عبدالسلام تدمري، صيدا: المكتبة العصرية، ٢٠١٤م، ج ٣، ص ٣٦٢، ج ٣، ص ٣٦٢؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١٢، ص ١٩٩.
- (١١) السلطان المنصور عثمان بن الظاهر جقمق، أبو السعادات القاهري الحنفي، كان عالماً وفاضلاً، ولد عام ٨٣٩هـ، وتولى السلطنة عام ٨٥٧هـ، وعزل عن السلطنة في العام نفسه، وكانت وفاته في عام ٨٩١هـ. الحنفي، نيل الأمل، ج ٨، ص ٥٥.
- (١٢) وظيفة أتاك العساكر: أصلها من أطابك ومعناها الولد الأمير، وقيل: أطابك معناها: أمير أب، والمراد أبو الأمراء وهو أكبر من الأمراء المقدمين بعد النائب. القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٤، ص ١٨.
- (١٣) السلطان الملك الشرف سيف الدين أبو النصر إينال بن عبدالله العلاني الظاهري، ملك الديار المصرية بعد خلع الملك المنصور عثمان عام ٨٥٧هـ، وهو السلطان السادس والثلاثون من ملوك الترك، والثاني عشر من ملوك الجراكسة، وكان من ممالك الظاهر برقوق، وتوفي عام ٨٦٥هـ. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١٦، ص ٥٨.
- (١٤) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١٦، ص ١٦؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٢، ص ٣١٠؛ الحنفي، نيل الأمل، ج ٢، ق ٥، ص ٣٩١.
- (١٥) البطالة: هم العاطلون من أعمال الدولة ووظائفها وإقطاعاتها؛ نتيجة غضب السلطان أو كبر السن، أو اضطراباً إلى الاعتكاف والاختفاء، أو لمجرد حب الأنزواء والابتعاد. سند أحمد عبدالفتاح "الأمراء البطالة زمن سلاطين الممالك" حوليات آداب عين شمس، م ٣٦٦، ٢٠٠٨، ص ٨٨.
- (١٦) مقدم ألف: من أعلى طبقات الأمراء في الجيش المملوكي، وكان لمقدم ألف الإشراف على مائة فارس، وله التقدمة على ألف جندي، أي: يتولى قيادتهم في أثناء المعارك، لهذا سمي بمقدم ألف). ابن شاهين، زبدة كشف الممالك، ص ١٣.
- (١٧) الحاجب بمعنى حجب السلطان عن العامة وتنظيم الدخول والخروج من باب السلطان. القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٥، ص ٤٤٩.
- (١٨) هو الملك الظاهر أبو سعيد سيف الدين خشقدم بن عبدالله الناصري المؤيدي، السلطان الثامن والثلاثون من ملوك الترك، والأول من الروم، تولى السلطنة عام ٨٦٥هـ، وتوفي في عام ٨٧٢هـ. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١٦، ص ٢٥٣-٢٥٤.
- (١٩) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١٦، ص ١١٥، ٢٥٧، ٢٨٣؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٢، ص ٣٤٤.
- (٢٠) بردبك الجمالي الظاهري جقمق ويعرف بالبرجمقدار، ترقى حتى صار في أيام الظاهر خشقدم مقدماً، ثم حاجباً كبيراً، وسافر أمير الحاج، تولى نيابة حلب ثم نيابة الشام، وتوفي عام ٨٧٥هـ في دمشق. السخاوي، الضوء اللامع، ج ٣، ص ٦.
- (٢١) الملك الظاهر أبو نصر يلبياي الإينالي المؤيدي، هو السلطان التاسع والثلاثون من ملوك الترك، والرابع عشر من الجراكسة، تولى السلطنة عام ٨٧٢هـ، وتوفي عام ٨٧٥هـ. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١٦، ص ٣٥٦.



- (٢٢) ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج١٦، ص٣٦٢؛ علي بن يوسف بن علي الشافعي البصري، **تاريخ البصري**، تحقيق: أكرم حسن العلي، دمشق: دار المأمون للتراث، ١٩٨٨م، ص٢٩؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، ج٢، ص٤٦١؛ الحنفي، **نيل الأمل**، ج٢، ق٦، ص٢٨٧.
- (٢٣) سوار علي دولة: هو سوار بن سليمان بن ناصر الدين بك بن دلغادر التركماني، ويقال له شاه سوار نائب الأبلستين ومرعش، كان يغير على مناطق تابعة لولاية حلب، فأرسلت السلطنة المملوكية ضده عدة حملات ولم تفلح في القبض عليه، وتمكن الدوادار الكبير يشبك من مهدي من أسره وقتله عام ٨٧٧هـ. ابن إياس، **بدائع الزهور**، ج٢، ص٤٣٥، ج٣، ص١٤؛ شمس الدين محمد بن علي بن أحمد بن طولون، **مفاكهة الخلان في حوادث الزمان**، تحقيق: خليل المنصور، القاهرة: المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، ١٩٦٤م، ج١، ص١٩٤، ٣٢؛ السخاوي، **الضوء اللامع**، ج٢، ص٢٧٤.
- (٢٤) جانك قلفيز الأشرفي، اتصف بالشجاعة وحسن التدبير والسياسة والفروسية، تنقل في المناصب، منها على سبيل المثال: الحويبية الكبرى، وأمير مجلس، وأمير سلاح، ونائب الشام. توفي عام ٨٨٣هـ. الحنفي، **نيل الأمل**، ج٧، ص٢٢٢.
- (٢٥) ابن إياس، **بدائع الزهور**، ج٣، ص١٥-١٦؛ الحنفي، **نيل الأمل**، ج٢، ق٦، ص٣٣٠؛ محمد بن محمود ابن أجا، **العراك بين المماليك والعثمانيين الأتراك مع رحلة الأمير يشبك بن مهدي الدوادار**، تحقيق: محمد دهمان، دمشق: دار الفكر، ١٩٨٦م، ص٣٥؛ Carl Petry, **Twilight of Majesty, The Reigns of the Mamlūk Sultans al-Ashraf Qāyṭbāy and Qānṣūh al-Ghawrī**, Seattle: University of Washington Press, 1993, p58-59.
- (٢٦) شمس الدين محمد عبدالرحمن السخاوي، **وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام**، تحقيق: بشار عواد معروف، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٥م، ج٢، ص٧٩٩؛ الحنفي، **نيل الأمل**، ج٦، ص٣٢٧-٣٢٨؛ عبدالرحمن محمود عبدالتواب، **قائمتي المحمودي**، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٨م، ص١٢.
- (٢٧) شمس الدين محمد عبدالرحمن السخاوي، **الذيل التام على دول الإسلام للذهبي**، تحقيق: حسن إسماعيل مروة، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٥م، ج٢، ص٢١٨-٢١٩؛ علي بن داود الصيرفي، **إنباء الهصر بأبناء العصر**، تحقيق: حسن حبشي، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٢م، ص١٤، ٩؛ الحنفي، **نيل الأمل**، ج٦، ص٣٣٩؛ البصري، **تاريخ البصري**، ص٣٤؛ الحنفي، **الروض الباسم**، ج٤، ص١٦.
- (٢٨) ابن إياس، **بدائع الزهور**، ج٣، ص١٨-٢٠.
- (٢٩) قطبا: منزل على الحدود المصرية، وبها تؤخذ الزكاة من التجار، وتفتش أمتعتهم ويبحث عما لديهم أشد البحث. محمد بن عبد الله ابن بطوطة، **رحلة ابن بطوطة: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، بيروت: دار الفكر، ٢٠٠٢م، ج١، ص٣٩.
- (٣٠) الصيرفي، **إنباء الهصر**، ص١٤؛ Carl Petry, **Protectors or Praetorians?: The Last Mamluk Sultans and Egypt's Waning As a Great Power**, Albany: State University of New York Press, 1994, p14.
- (31) Petry, **Protectors or praetorians**, p14.
- (٣٢) السخاوي، **الذيل التام**، ج٢، ص٢١٩؛ الحنفي، **الروض الباسم**، ج٤، ص٢١-٢٢.
- (٣٣) الحنفي، **نيل الأمل**، ج٣، ص٣٤٤.
- (٣٤) السخاوي، **وجيز الكلام**، ج٣، ص٨٨٢؛ السخاوي، **الذيل التام**، ج٢، ص٣٠٥؛ عبدالتواب، **قائمتي المحمودي**، ص٧٦-٧٧.
- (٣٥) نائب الغيبة ينوب عن السلطان في مصر ويعد السلطان الثاني؛ لما يتمتع به من نفوذ كبير، ويكون المتصرف المطلق في كل أمر، وهي من أرفع الوظائف في الدولة المملوكية، ويعود أصلها إلى عصر السلاجقة، وانتقلت إلى الدولة الأتابكية والأيوبية، وأحياها السلطان الظاهر بيبرس مع ما أحياه من الوظائف الأيوبية، وذلك لكثرة تغيبه عن مصر، ورغبة منه في أن يحل النائب محله في أثناء انشغاله بالحروب الخارجية. الفلقشندي، **صبح الأعشى**، ج٤، ص١٦؛ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، **حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ١٩٦٧م، ج٢، ص٢٢.
- (٣٦) ابن إياس، **بدائع الزهور**، ج٣، ص١٣٥.
- (٣٧) السخاوي، **الذيل التام**، ج٢، ص٣٠٥؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، ج٣، ص١٣٥؛ السخاوي، **وجيز الكلام**، ج٣، ص٨٨٣.



(٣٨) الحنفي، نيل الأمل، ج ٢، ق ٧، ص ١٩٤.
(٣٩) السخاوي، الذيل التام، ج ٢، ص ٣٠٥-٣٠٦؛ الحنفي، نيل الأمل، ج ٢، ق ٧، ص ١٩٥؛ John Bagot Glubb, **Soldiers of fortune: The story of the Mamlukes**, London: Hodder & Stoughton Ltd, 1973, p375.
(٤٠) ابن إياس، **بدائع الزهور**، ج ٣، ص ١٣٥.

(41) Petry, **Protectors or praetorians**, p19.

(٤٢) قانصوه خمسمائة: أصله من ممالك السلطان الظاهر خشقدم، اشتراه الأشرف قايتباي وأعتقه فعَدَّ من ممالئكه، تولى عدداً من الوظائف: الدَّواريَّة الثَّانية، وأمير أخورية الكبرى، وأتابك العساكر، ثمَّ تسلطن وتلقب بالأشرف، وأقام في السلطنة ثلاثة أيام، وقتل في خان يونس عام ٩٠٢هـ. ابن إياس، **بدائع الزَّهور**، ج ٣، ص ٣٥٤.
(٤٣) أقبردي الأشرفي قايتباي: ابن عم السلطان قايتباي وقريبه، وكان خاصكياً عدَّة سنوات، ثمَّ ترقَّى لإمرة عشرة، ثمَّ تولى الدَّواريَّة الكبرى، إضافة إلى الوزارة والاستدارية في عهد السلطان قايتباي، وكذلك تولى إمرة الوجه القبلي وإمرة السلاح، تزوَّج بأخت خوند الخاصككية وكان عديل السلطان قايتباي ومدبِّر مملكته وصاحب الحلِّ والعقد بالذَّيار المصرية، توفي عام ٩٠٤هـ في حلب. السخاوي، **الضوء اللامع**، ج ٢، ص ٣١٥؛ ابن إياس، **بدائع الزَّهور**، ج ٣، ص ٤٢١.

(٤٤) ابن إياس، **بدائع الزهور**، ج ٣، ص ٣١٠-٣١١؛ عبدالنواب، **قايتباي المحمودي**، ص ٩٨، ١١٠، ١١١.
(٤٥) قاعة البحرة: قاعة من قاعات القلعة، جدها السلطان قانصوه الغوري. محمد محمد ابن أبي السرور، **التحفة البهية في تملك آل عثمان الديار المصرية**، تحقيق ودراسة عبد الرحيم عبد الرحمن، القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، ٢٠٠٥م، ص ٦٦.

(٤٦) ابن إياس، **بدائع الزهور**، ج ٣، ص ٣١٣-٣١٤.
(٤٧) السلطان الملك الناصر أبو السعادات ابن الملك الأشرف قايتباي، هو السلطان العشرون من سلاطين الممالئك الشراكسة، تولى الحكم بعد وفاة أبيه عام ٩٠١هـ، وقتل عام ٩٠٣هـ. ابن إياس، **بدائع الزهور**، ج ٣، ص ٣٠٥-٣٠٨.
(٤٨) تمراز الشمسي الأشرفي برسباي العزيزي، نسبة للعزير بن الأشرف، تولى منصب رأس نوبة النوب، وأمير سلاح، والأتابك، توفي عام ٩٠٥هـ. السخاوي، **الضوء اللامع**، ج ٣، ص ٣٦-٣٧.
(٤٩) ابن إياس، **بدائع الزهور**، ج ٣، ص ٣٧٧.
(٥٠) ابن إياس، **بدائع الزهور**، ج ٣، ص ٣٨٣.
(٥١) ابن إياس، **بدائع الزهور**، ج ٣، ص ٣٩٤.
(٥٢) ابن إياس، **بدائع الزهور**، ج ٣، ص ٤٠٤-٤٠٥.
(٥٣) ابن إياس، **بدائع الزهور**، ج ٣، ص ٤١١-٤١٢.
(٥٤) ابن إياس، **بدائع الزهور**، ج ٣، ص ٣٠، ٦١، ٦٢، ٧٠، ٧١.

(٥٥) بلغت القبائل العربية بمصر في عهد الممالئك عدداً كبيراً، وانتشروا في مختلف أنحاء البلاد بالوجه القبلي والوجه البحري، ومن أهم بطون القبائل العربية: بنو ربيعة، وبنو هلال، وبنو جهينة، وبنو محارب، وبنو عدي، وهوارة. محمود السيد، **تاريخ القبائل العربية في الدولتين الأيوبية والمملوكية**، مؤسسة شباب الجامعة، القاهرة، ١٩٩٨م، ص ٥٥.
(٥٦) الحنفي، نيل الأمل، ج ٦، ص ٣٤٩؛ الحنفي، **الروض الباسم**، ج ٤، ص ٣٢؛ عبدالنواب، **قايتباي المحمودي**، ص ٩٨، ١١٢؛ Glubb, **Soldiers of Fortune**, p371؛ Petry, **Twilling of Majesty**, p63.
(٥٧) ابن إياس، **بدائع الزهور**، ج ٣، ص ٢٣، ٢٧؛ الحنفي، نيل الأمل، ج ٦، ص ٣٥٢؛ الحنفي، **الروض الباسم**، ج ٤، ص ٤١، ٥٥.

(٥٨) الصيرفي، **إنباء الهصر**، ص ٢٤، ٣٢.
(٥٩) هو يشبك جن الإسحاق، الأشرفي، أحد مقدمي الألوف بمصر، كان يعرف باسم البهلوان، اتصف يشبك بالشجاعة والفروسية، وتوفي وهو في السبعين من عمره. السخاوي، **الضوء اللامع**، ج ١٠، ص ٢٧٥؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، ج ٣، ص ٥٥؛ الصيرفي، **إنباء الهصر**، ص ٢٢٩-٢٣٠.
(٦٠) كاشف: منصب إداري في العهد المملوكي، يقوم صاحبه بإدارة إقليم محدد، ويكون مشرفاً على الأراضي والجسور، ومسؤولاً عن جباية الضرائب، ويسمى أيضاً كاشف التراب وكاشف الجسور. محمد أحمد دهمان، **معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي**، بيروت: دار الفكر المعاصر، ٢٠١١م، ص ١٢٢.
(٦١) الصيرفي، **إنباء الهصر**، ص ١٩٥؛ الحنفي، نيل الأمل، ج ٦، ق ٢، ص ٤٢٥؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، ج ٣، ص ٥١؛ عبدالنواب، **قايتباي المحمودي**، ص ١١٢-١١٣.

- (٦٢) ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص٦٠؛ الصيرفي، إنباء الهصر، ص٢١٢، ٢٣٣، ٢٣٤.
- (٦٣) الصيرفي، إنباء الهصر، ص٣٢٦-٣٢٧؛ الحنفي، نيل الأمل، ج٢، ق٧، ص٣٥.
- (٦٤) الحنفي، نيل الأمل، ج٢، ق٧، ص٣٥.
- (٦٥) أمير سلاح: من الوظائف ذات الأهمية في الدولة المملوكية، ومتوليها يكون من مقدمي الألواف، وكبيرهم يطلق عليه أمير السلحدارية، وهو المشرف على المخازن الخاصة بالسلاح. الفلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص١٨؛ حسن الباشا، الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، القاهرة: دار النهضة العربية، ١٩٦٦م، ج١، ص٢٢٦.
- (٦٦) أزدرد الإبراهيمي الظاهري جقمق ويعرف بالطويل، تولى إمرة عشرة في عهد السلطان خشقدم ثم نفاه، عندما تولى السلطان قايتباي استقدمه وأعطاه الحجوبية، ثم نفي لمكة وسجن في أسبوط، فانتهى المطاف به بخنقه عام ٥٨٨٥هـ، كان شجاعاً فارساً مقداماً. السخاوي، الضوء اللامع، ج٢، ص٢٧٣.
- (٦٧) قانسوه الخسياف الأحمدي الأشرفي إبنال، تولى منصب أتابك حلب، ونائب صفد، ومقدم ألف. الحنفي، نيل الأمل، ج٧، ص٣٩٥، ٤١٠، ٨٤، ص٦٠.
- (٦٨) ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص٧١-٧٢؛ الحنفي، نيل الأمل، ج٦، ق٣، ص٣٥؛ الصيرفي، إنباء الهصر، ص٣٢٦.
- (٦٩) الصيرفي، إنباء الهصر، ص٤٤٣-٤٤٤؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص٧٥.
- (٧٠) الحنفي، نيل الأمل، ج٢، ق٧، ص٤١.
- (٧١) السخاوي، وجيز الكلام، ج٣، ص٨٧١؛ الحنفي، نيل الأمل، ج٢، ق٧، ص١٥٥؛ السخاوي، الذيل التام، ج٢، ص٢٩٤.
- (٧٢) الحنفي، نيل الأمل، ج٢، ق٧، ص١٥٥؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص١١٩.
- (٧٣) إمارة الأقب قوينلو (الخروف الأبيض) هي قبيلة القطيع الأبيض التركمانية، التي قدمت من أواسط آسيا واستقرت في ديار بكر، واتخذت من مدينة آمد عاصمة لها، سميت بهذا الاسم؛ لأنها كانت تضع رسم خروف ذي لون أبيض على علمها. محمد سهيل طوقش، تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، بيروت: دار النفائس، ١٩٩٩م، ص٤٤٨.
- (٧٤) عبدالنواب، قايتباي المحمودي، ص١٣٧-١٣٩؛ عاشور، العصر المماليكي، ص١٨٣؛ السير ولیم مویر، تاريخ دولة المماليك في مصر، ترجمة: محمود عابدين وسليم حسن، القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٩٩٥م، ص١٧١؛ Glubb, Soldiers of Fortune, p371
- (٧٥) حكمت هذه الأسرة قرابة ١٩٠ سنة (٧٤٠-٥٩٢٨هـ)، وشملت حدود الإمارة الدلغادرية: مرعش، والبستان، وملطية، وعين تاب، وعزاز، وخربوت، وبهنسا، ودرندة، وقير شهري، وقيسارية، وحصن المنصور، وقلعة الروم، وبلاد سبیس. قامت الإمارة الدلغادرية على البلدان التي كانت تقوم عليها الإمارة الأرمنية. ابن أجا، العراك بين المماليك والعثمانيين، ص٢٥، ٢٣.
- (٧٦) الحنفي، نيل الأمل، ج٦، ص٣٧٧؛ ابن أجا، العراك بين المماليك والعثمانيين، ص٣٥.
- (٧٧) ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص٢٦.
- (٧٨) الصيرفي، إنباء الهصر، ص٤٤.
- (٧٩) الصيرفي، إنباء الهصر، ص٤٩؛ السخاوي، الذيل التام، ج٢، ص٢١١؛ الحنفي، نيل الأمل، ج٦، ص٣٥٩.
- Petry, Twilling of Majesty, p63.**
- (٨٠) الحنفي، الروض الباسم، ج٤، ص٦١؛ الحنفي، نيل الأمل، ج٦، ص٣٥٩-٣٦٠؛ الصيرفي، إنباء الهصر، ص٥١.
- Petry, Twilling of Majesty, p63.**
- (٨١) السخاوي، الذيل التام، ج٢، ص٢١٩؛ الصيرفي، إنباء الهصر، ص٥١.
- (٨٢) الحنفي، الروض الباسم، ج٤، ص٧٤؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص٢٧؛ الحنفي، نيل الأمل، ج٦، ص٣٦٤؛ الصيرفي، إنباء الهصر، ص٥٦.
- (٨٣) الريدانية كانت تطلق على بستان كبير أنشأه ريدان الصقلي (أحد خدام العزيز بالله الفاطمي والمختصين به)، وعلى ما جاوره من الأرض الرملية، وكان الريدانية اليوم من العباسية حتى مصر الجديدة. تقي الدين أحمد بن علي العبيدي المقرئ، المواظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م، ج٢، ص١٣٩؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٢، ص٢.
- (٨٤) ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص٢٧؛ الصيرفي، إنباء الهصر، ص٥٧-٥٨.
- (٨٥) ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص٣٣-٣٤؛ الحنفي، نيل الأمل، ج٦، ص٣٧٤؛ الحنفي، الروض الباسم، ج٤، ص٨٧-٨٨؛ الصيرفي، إنباء الهصر، ص٦٩.



(٨٦) الحنفي، الروض الباسم، ج٤، ص٩٥-٩٦؛ السخاوي، الذيل التام، ج٢، ص٢١٩؛ الحنفي، نيل الأمل، ج٦، ص٣٧٧؛ البصروي، تاريخ البصروي، ص٣٨؛ الصيرفي، إنباء الهصر، ص٧٧-٧٩؛ **Petry, Twilling of Majesty, p 64-65**.

(٨٧) الصيرفي، إنباء الهصر، ص٧٨، ١٢١.

(٨٨) ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص٣٦.

(٨٩) السخاوي، الذيل التام، ج٢، ص٢١٩؛ موير، تاريخ دولة المماليك، ص١٧١؛ **Glubb, Soldiers of Fortune, p372**.

(90) **Petry, Twilling of Majesty, p66**.

(٩١) ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص٢٧، ٣٤؛ ابن أجا، العراك بين المماليك والعثمانيين، ص٣٩، ٤٠، ٤٦.

(٩٢) شاه بضاغ بن سليمان بن ناصر الدين بك بن دلغادر التركماني، تولى نيابة الأبلستين التابعة للسلطة المملوكية، وتحالف مع العثمانيين ضد السلطة المملوكية، ثم استسلم وقدم طائعا إلى القاهرة، فأمر السلطان قايتباي بنفيه إلى منفوط. الحنفي، نيل الأمل، ج٨، ص١٧٢.

(٩٣) ملطية: مدينة قديمة بناها الإسكندر، وهي من بلاد الروم المشهورة والقريبة من بلاد الشام، وأعاد بناءها الخليفة المنصور ونقل إليها بعض القبائل العربية. حمد بن إسحاق بن وهب اليعقوبي، البلدان، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٢م، ج١، ص٢٠٥.

(٩٤) الصيرفي، إنباء الهصر، ص١٦٢؛ السخاوي، وجيز الكلام، ج٢، ص٨١٠؛ الحنفي، الروض الباسم، ج٤، ص٢٠٥-٢٠٦؛ السخاوي، الذيل التام، ج٢، ص٢٣٢.

(٩٥) الحنفي، نيل الأمل، ج٦، ق٢، ص٤١١.

(٩٦) الصيرفي، إنباء الهصر، ص١٢٨-١٢٩.

(٩٧) يعقوب بك بن حسن بك بن علي بك بن قريلوك، ملك الشرق و سلطان العراقيين، توفي عام ٨٩٦هـ. السخاوي، الضوء اللامع، ج١٠، ص٢٨٣.

(٩٨) يشبك من مهدي الظاهري جقمق، ويعرف بالصغير، استقر في الداودية الكبرى عوضاً عن خايربك الظاهري خشقدم، وعين باش العسكر المتوجه لقتال سوار شاه، ونجح في إنهاء ثورة التركمان والقبض على شاه سوار، كما شغل منصب الدواودية، والاستدارية، وإمرة السلاح، وقتل على يد أحد أمراء يعقوب بن حسب الطويل عام ٨٨٥هـ/١٤٨٠م، ودفن بتريته. السخاوي، الضوء اللامع، ج١٠، ص٢٧٢-٢٧٤.

(٩٩) الرها: مدينة بالجزيرة الفراتية بين الموصل والشام، بناها الملك سلوقس. شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم البلدان، بيروت: دار صادر، ١٩٩٥م، ج١، ص١٠٦.

(١٠٠) السخاوي، وجيز الكلام، ج٣، ص٩٠٥-٩٠٦؛ الحنفي، نيل الأمل، ج٢، ق٧، ص٢٧١؛ السخاوي، الذيل التام، ج٢، ص٣٢٨-٣٢٩؛ الصيرفي، إنباء الهصر، ص٤٩٠-٤٩١؛ ابن أجا، العراك بين المماليك والعثمانيين، ص٣٧؛ ستانلي لين بول، تاريخ مصر في العصور الوسطى، ترجمة: أحمد سالم سالم، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ٢٠١٤م، ص٦١٨.

(١٠١) جاني بك حبيب العلاني الإنبالي، توفي عام ٨٩٣هـ. السخاوي، الضوء اللامع، ج٣، ص١١٢.

(١٠٢) السخاوي، وجيز الكلام، ج٣، ص٩٢٢؛ الحنفي، نيل الأمل، ج٢، ق٧، ص٢٩٤؛ عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن العلمي الحنبلي، الأئمة الجليل بتاريخ القدس والخليل، تحقيق: عدنان يونس عبد المجيد نباتة، عمان: مكتبة دنديس، ١٩٩٩م، ج٢، ص٤٥٣؛ أحمد بن محمد بن عمر الأنصاري ابن الحمصي، حوادث الزمان ووفيات الشيوخ والأقربان، تحقيق عبد العزيز فياض حروفش، بيروت: دار النفائس، ٢٠٠٠م، ج١، ص٢٦٢؛ ابن طولون، مفاهمة

الخلان، ج١، ص٤٦؛ الصيرفي، إنباء الهصر، ص٥٠٤-٥٠٦؛ **Glubb, Soldiers of Fortune, p 377**. السخاوي، الذيل التام، ج٢، ص٣٤٥-٣٤٦؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص١٨٠-١٨١؛ الحنفي، نيل الأمل، ج٢، ق٧، ص٢٧٣.

(١٠٤) الحنفي، نيل الأمل، ج٢، ق٧، ص٣٠٠؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص١٩٠؛ الصيرفي، إنباء الهصر، ص٥٠٧-٥٠٨؛ **Petry, Protectors or praetorians, p18**.

(١٠٥) علي دولات بن سليمان بن ناصر الدين بك بن دلغادر التركماني (أمير الأبلستين إحدى إمارات الحدود الشمالية للسلطنة المملوكية)، وتمرد ضد السلطنة المملوكية بدعم من العثمانيين، ثم أصبح مواليا للسلطنة المملوكية. ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص١٢٣.

(١٠٦) الأبلستين: مدينة مشهورة من بلاد الروم. الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٨٦.



- (١٠٧) أبايزيد الثاني بن محمد الفاتح، وهو ثامن السلاطين العثمانيين، تولى السلطة عام ١٤٨١م، وتوفي عام ١٥١٢م. محمود شاكر، **التاريخ الإسلامي**، بيروت: المكتب الإسلامي، ٢٠٠٠م، ج ٨، ص ٩٢.
- (١٠٨) السخاوي، **وجيز الكلام**، ج ٣، ص ٩٧٠؛ الحنفي، **نيل الأمل**، ج ٢، ق ٧، ص ٣٨٨، ٤٢١؛ عبدالتواب، **قائمتي المحمودي**، ص ١٦٩-١٧٠؛ Petry, **Twilling of Majesty**, p 93؛ ستانلي، **تاريخ مصر في العصور الوسطى**، ص ٦١٨.
- (١٠٩) السخاوي، **الذيل التام**، ج ٢، ص ٣٧٣؛ الحنفي، **نيل الأمل**، ج ٢، ق ٧، ص ٤٢٥-٤٢٦؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، ج ٣، ص ٢١٦؛ عاشور، **العصر المماليكي**، ص ٢٧٠.
- (١١٠) ابن إياس، **بدائع الزهور**، ج ٣، ص ٢٢٠؛ انظر أيضًا إلى السخاوي، **الذيل التام**، ج ٢، ص ٣٨١.
- (١١١) السخاوي، **وجيز الكلام**، ج ٣، ص ٩٧٠-٩٧١؛ الحنفي، **نيل الأمل**، ج ٢، ق ٨، ص ١٧، ٢١؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، ج ٣، ص ٢٢٦؛ السخاوي، **الذيل التام**، ج ٢، ص ٣٩٤-٣٩٥؛ طقوش، **تاريخ المماليك**، ص ٤٨٩-٤٩٠؛ Petry, **Twilling of Majesty**, p 95.
- (١١٢) الحنفي، **نيل الأمل**، ج ٢، ق ٨، ص ١٨.
- (١١٣) مجموعات من الرقيق عرفوا بمسمى (أجلاب)، جلبوا صغارًا في السن، حيث دُربوا على الطباقي، وتعلموا الفروسية والفنون القتالية بجميع أنواعها. عبدالعزيز القبلي، "تمردات المماليك الجلبان ومدلولاتها السياسية والاقتصادية في عهد السلطان الأشرف قايتباي (٨٧٢-٩٠١هـ / ١٤٦٨-١٤٩٦م)" **مجلة الدراسات التاريخية والاجتماعية**، جامعة نواكشوط، ع ٣٩، ٢٠١٩، ص ٢١٣-٢١٤.
- (١١٤) ابن إياس، **بدائع الزهور**، ج ٣، ص ٢٣٤-٢٣٥؛ الحنفي، **نيل الأمل**، ج ٢، ق ٨، ص ٢٨.
- (١١٥) الحنفي، **نيل الأمل**، ج ٢، ق ٨، ص ٣٣؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، ج ٣، ص ٢٣٥؛ Glubb, **Soldiers of Fortune**, p 377.
- (١١٦) الحنفي، **نيل الأمل**، ج ٢، ق ٨، ص ٨٢، ١٠٧؛ السخاوي، **الذيل التام**، ج ٢، ص ٤٦٢؛ موير، **تاريخ دولة المماليك**، ص ١٧٤.
- (١١٧) ابن إياس، **بدائع الزهور**، ج ٣، ص ٢٥٠؛ الحنفي، **نيل الأمل**، ج ٢، ق ٨، ص ١٠٧-١٠٨؛ السخاوي، **الذيل التام**، ج ٢، ص ٤٦٣؛ Petry, **Twilling of Majesty**, p 96.
- (١١٨) الحنفي، **نيل الأمل**، ج ٢، ق ٨، ص ١١٣.
- (١١٩) ابن إياس، **بدائع الزهور**، ج ٣، ص ٢٥٦-٢٥٧؛ الحنفي، **نيل الأمل**، ج ٢، ق ٨، ص ١٢١، ١٢٤؛ السخاوي، **الذيل التام**، ج ٢، ص ٤٦٣-٤٦٤.
- (١٢٠) السخاوي، **وجيز الكلام**، ج ٣، ص ١٠٧٨، ١٠٧٦؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، ج ٣، ص ٢٦١؛ السخاوي، **الذيل التام**، ج ٢، ص ٥٠٩.
- (١٢١) السخاوي، **وجيز الكلام**، ج ٣، ص ١١٢٧؛ الحنفي، **نيل الأمل**، ج ٢، ق ٨، ص ١٧٥، ١٩٢.
- (١٢٢) ابن إياس، **بدائع الزهور**، ج ٣، ص ٢٧٠؛ الحنفي، **نيل الأمل**، ج ٢، ق ٨، ص ١٨٣؛ السخاوي، **الذيل التام**، ج ٢، ص ٥٥٧؛ طقوش، **تاريخ المماليك**، ص ٤٩١.
- (١٢٣) الحنفي، **نيل الأمل**، ج ٢، ق ٨، ص ١٨٣.
- (١٢٤) قيسارية: مدينة من ثغور الشام، فتحها الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان. عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي، **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**، تحقيق: مصطفى السقا، بيروت: عالم الكتب، ٢٠٠١م، ج ٣، ص ١١٠٦.
- (١٢٥) السخاوي، **وجيز الكلام**، ج ٣، ص ١١٢٨-١١٢٩؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، ج ٣، ص ٢٧٤؛ الحنفي، **نيل الأمل**، ج ٢، ق ٨، ص ١٩٤، ١٩٥، ٢٠١؛ السخاوي، **الذيل التام**، ج ٢، ص ٥٥٨-٥٥٩.
- (١٢٦) الحنفي، **نيل الأمل**، ج ٢، ق ٨، ص ٢١١.
- (١٢٧) السخاوي، **وجيز الكلام**، ج ٣، ص ١١٦٨.
- (١٢٨) أزيك اليوسفي الخازندار، ويقال له: ناظر الخاص، تولى منصب ناظر الخاص، ورأس نوبة النوب، واشتهر بالشجاعة والفروسية. السخاوي، **الضوء اللامع**، ج ٢، ص ٢٧٢.
- (١٢٩) ابن إياس، **بدائع الزهور**، ج ٣، ص ٦٤.
- (١٣٠) محمد بن محمود جلال الدين أبو البقاء بن المحب بن الشحنة الحلبي الشافعي، تولى قضاء حلب على المذهب الشافعي، وتوفي عام ٨٩٢هـ في القاهرة. السخاوي، **الضوء اللامع**، ج ٩، ص ٢٩٤.

- (١٣١) كاتب السر: من أعظم الوظائف الديوانية في العصر المملوكي، وكان يلقب صاحبها باسم الجناب الكريم، ومن مهامه التوقيع على الرقاع والقصاص، ويشترك في الفصل في بعض المظالم، ومن اختصاصاته قراءة الكتب الواردة على السلطان، وكتابة أجوبتها، والتحدث في أمور البريد، ومشاركة الدوادار في أكثر الأمور السلطانية. علي إبراهيم حسن، دراسات في تاريخ المماليك البحرية وفي عصر الناصر محمد بوجه خاص، القاهرة: مكتبة النهضة، ١٩٤٤م، ص٢٧٢-٢٧٣؛ دهمان، الألفاظ التاريخية، ص١٢٧.
- (١٣٢) الحنفي، نيل الأمل، ج٢، ق٧، ص٤٨؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص٧٩-٨٠.
- (١٣٣) الحنفي، نيل الأمل، ج٢، ق٧، ص٨١، ٧٣، ٩٢.
- (١٣٤) ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص٩٤-٩٥.
- (١٣٥) الحنفي، نيل الأمل، ج٢، ق٧، ص٩١-٩٢.
- (١٣٦) أمراء العشرين: هي من ضمن الرتب العسكرية أيضاً، ومتقلد هذا المنصب يشرف على عشرين مملوكاً، ويزداد عدد المماليك تحت إشرافه في حالة الحرب. ابن شاهين، زبدة كشف الممالك، ص١١٣؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص١٤-١٥.
- (١٣٧) ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص١٠٠-١٠١؛ الحنفي، نيل الأمل، ج٢، ق٧، ص١١١.
- (١٣٨) ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص١٠١.
- (١٣٩) قانصوه الجياوي الظاهري جقمق، تولى نيابة الإسكندرية، وطرابلس، وحلب، والشام. السخاوي، الضوء اللامع، ج٦، ص١٩٩.
- (١٤٠) ذكر الحنفي أن نائب قلعة حلب لم يكن على توافق مع قانصوه الجياوي، وكان يكتب السلطان سرّاً ويتهمه بأمور باطلة، ومنها طموح قانصوه بالاستقلال بحكم حلب والتمرد على السلطان. الحنفي، نيل الأمل، ج٢، ق٧، ص١٦٣.
- (١٤١) ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص١٢٠.
- (١٤٢) الحنفي، نيل الأمل، ج٢، ق٧، ص١٦٣.
- (١٤٣) الحنفي، نيل الأمل، ج٢، ص٧، ص٢١٢؛ عبدالنور، قايتهابي المحمودي، ص١٣٤.
- (١٤٤) شطنوف: مدينة في مصر من نواحي كورة الغربية عند مفترق النيل. الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٣٤٤.
- (١٤٥) ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص١٤٧.
- (١٤٦) تمتاز الشمس في برسباي العزيزي، تدرج في المناصب ساقياً، وأمير عشرة، ومقدم ألف، ورأس نوبة النوب، والدواردار، وأمير سلاح. توفي عام ٩٠٥هـ. السخاوي، الضوء اللامع، ج٣، ص٣٨-٣٩.
- (١٤٧) ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص١٧٥.
- (١٤٨) مقدم المماليك: هو الذي يتولى أمر المماليك للسلطان، أو الأمير عن الخدم الخصيان المعروفين بالطواشية، ومقامه فيهم مقام أمير النوبة. دهمان، معجم الألفاظ التاريخية، ص١٤٢.
- (١٤٩) الحنفي، نيل الأمل، ج٢، ق٧، ص٣٠١.
- (١٥٠) برسباي قرا الظاهري جقمق، أمير مجلس، توفي في أدنة عام ٨٩٣هـ/١٤٨٧م. السخاوي، الضوء اللامع، ج٣، ص١٠.
- (١٥١) رأس نوبة النوب: هي في المرتبة الثالثة من الوظائف العسكرية في عصر المماليك، وصاحبها له الحكم على المماليك السلطانية، أو أمير رأس نوبة النوب هو رئيس رؤوس النوب، وكان يطلق عليه رأس نوبة كبير، أو رأس رؤوس النوب. القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص١٨؛ حسن الباشا، الفنون الإسلامية، ج٢، ص٥٤٦.
- (١٥٢) الخنداشية مفردها خنداش، ومعناها الزميل في الخدمة، وهم الأمراء الذين نشأوا عند سيد واحد، فنمت بينهم رابطة الزمالة، وهي كلمة معربة من اللفظ الفارسي (خواجاتاس). دهمان، معجم الألفاظ التاريخية، ج٢، ص٦٨-٦٩.
- (١٥٣) ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص٢٠٢؛ السخاوي، الذيل التام، ج٢، ص٣٦٤.
- (١٥٤) السخاوي، وجيز الكلام، ج٣، ص١٠٠٨؛ الحنفي، نيل الأمل، ج٢، ق٨، ص٥١-٥٢؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص٢٣٦؛ السخاوي، الذيل التام، ج٢، ص٣٩٦.
- (١٥٥) تغري بردي ططر الظاهري جقمق، تولى منصب حاجب الحجاب، وأمير المحمل، توفي عام ٨٩٣هـ في حلب. السخاوي، الضوء اللامع، ج٣، ص٢٨.
- (١٥٦) ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص٧٢-٧٣.
- (١٥٧) ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص٧٥؛ الحنفي، نيل الأمل، ج٢، ق٧، ص٤٢.



- (١٥٨) ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٣، ص ١٠٣.
- (١٥٩) الحنفي، نيل الأمل، ج ٢، ق ٧، ص ١٣١؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٣، ص ١٠٧.
- (١٦٠) السخاوي، وجيز الكلام، ج ٢، ص ٨٦٣؛ الحنفي، نيل الأمل، ج ٢، ق ٧، ص ١٤٤.
- (١٦١) ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٣، ص ١١٢.
- (١٦٢) خاير بك حديد الأشرفي برسباي، تولى مناصب الخاصكية، وخازندار، ودوادار، وأمير طبخاتاه، ومقدم ألف، توفي عام ٨٨٧هـ. السخاوي، الضوء اللامع، ج ٣، ص ٢٠٧.
- (١٦٣) السخاوي، وجيز الكلام، ج ٢، ص ٨٦٣-٨٦٤؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٣، ص ١١٥؛ السخاوي، الذيل التام، ج ٢، ص ٢٨٧-٢٨٦.
- (١٦٤) السخاوي، وجيز الكلام، ج ٣، ص ٨٨١؛ الحنفي، نيل الأمل، ج ٢، ق ٧، ص ١٩٠؛ السخاوي، الذيل التام، ج ٢، ص ٣٠٤؛ عبدالنواب، قايتباي المحمودي، ص ٧٩-٨٠.
- (١٦٥) ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٣، ص ١٣٠-١٣٢.
- (١٦٦) الحنفي، نيل الأمل، ج ٢، ق ٧، ص ١٩٣.
- (١٦٧) ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٣، ص ٢١٣.
- (١٦٨) ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٣، ص ٢٢١.
- (١٦٩) أمين الدين يحيى بن محمد الأقصرى الحنفي، كان عالماً فاضلاً من أجل علماء الحنفية، بارعا في الفقه، تولى مشيخة المدرسة الصرغتمشية، والأبتمشية، والجانبكية، توفي عام ٨٨٠هـ. ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٣، ص ١٠٧.
- (١٧٠) السخاوي، وجيز الكلام، ج ٢، ص ٨٥٦؛ الحنفي، نيل الأمل، ج ٢، ق ٧، ص ١٢١؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٣، ص ١٠٤.
- (١٧١) نسبت الأزيكية إلى أزيك من طسخ، حيث كانت تقع قديماً في أرض خراب وتم تعميمها قديماً وتسميتها بمناظر اللوق وحفر خليجاً من نهر النيل لتوصيل المياه إلى منطقة اللوق، حيث عرف بمسمى خليج الذكر. لاحقاً قام الناصر محمد بن قلاوون بحفر الخليج الناصري عام ٧٢٤هـ مما تسبب في خراب خليج الذكر في منطقة اللوق، وظلت المنطقة خراباً إلى عام ٨٨٠هـ. ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٣، ص ١١٦-١١٧.
- (١٧٢) الحنفي، نيل الأمل، ج ٢، ق ٧، ص ١٣٥؛ Glubb, *Soldiers of Fortune*, p374.
- (١٧٣) ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٣، ص ١١٧؛ الحنفي، نيل الأمل، ج ٢، ق ٧، ص ٢١١.
- (١٧٤) ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٣، ص ١١٧.
- (١٧٥) الحنفي، نيل الأمل، ج ٢، ق ٧، ص ٣٧٤.
- (١٧٦) ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٣، ص ١١٧-١١٨.
- (١٧٧) الحنفي، نيل الأمل، ج ٢، ق ٧، ص ٢١١؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٣، ص ١١٨؛ Glubb, *Soldiers of Fortune*, p375.
- (١٧٨) ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٣، ص ١٣٤.
- (١٧٩) ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٣، ص ٢١٩؛ الحنفي، نيل الأمل، ج ٢، ق ٨، ص ١٦٠.
- (١٨٠) الحنفي، نيل الأمل، ج ٢، ق ٧، ص ٢٢١.
- (١٨١) ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٣، ص ١٦٩-١٧٠.
- (١٨٢) الحنفي، نيل الأمل، ج ٢، ق ٧، ص ٢٦٥؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٣، ص ٢٧٧-٢٧٨.
- (١٨٣) الحنفي، نيل الأمل، ج ٢، ق ٨، ص ٢١٨؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٣، ص ٢٩٢-٢٩٣.
- (١٨٤) ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٣، ص ٣٠١؛ عبدالنواب، قايتباي المحمودي، ص ١٩١.



قائمة المصادر والمراجع

أ. المصادر:

- الأندلسي، عبدالله بن عبدالعزيز البكري، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق: مصطفى السقا، بيروت: عالم الكتب، ٢٠٠١م.
- البصري، علي بن يوسف بن علي الشافعي، تاريخ البصري، تحقيق: أكرم حسن العلي، دمشق: دار المأمون للتراث، ١٩٨٨م.
- الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، بيروت: دار صادر، ١٩٩٥م.
- الحنبلي، عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن العليمي، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، تحقيق: عدنان يونس عبد المجيد نباتة، عمان: مكتبة دنديس، ١٩٩٩م.
- الحنفي، عبدالباسط بن خليل بن شاهين الملطي، الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم، تحقيق: عمر عبدالسلام تدمري، صيدا: المكتبة العصرية، ٢٠١٤م.
- نيل الأمل بذيل الدول، تحقيق: عمر عبدالسلام تدمري، صيدا: المكتبة العصرية، ٢٠٠٢م.
- السخاوي، شمس الدين محمد عبدالرحمن، الذيل التام على دول الإسلام للذهبي، تحقيق: حسن إسماعيل مروة، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٥م.
- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، عمان: وزارة الثقافة، ٢٠١٠م.
- وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام، تحقيق: بشار عواد معروف، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٥م.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ١٩٦٧م.
- الصيرفي، علي بن داود، إنباء الهصر بأنباء العصر، تحقيق: حسن حبشي، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٢م.
- القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، تحقيق: فوزي محمد أمين، القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠٠٤م.
- المقرئ، تقي الدين أحمد بن علي العبيدي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م.
- ابن أبي السرور، محمد، التحفة البهية في تملك آل عثمان الديار المصرية، تحقيق ودراسة عبدالرحيم عبدالرحمن، القاهرة: دارالكتب والوثائق القومية، ٢٠٠٥م.
- ابن أجا، محمد بن محمود، العراك بين المماليك والعثمانيين الأتراك مع رحلة الأمير يشبك بن مهدي الدوادار، تحقيق: محمد دهمان، دمشق: دار الفكر، ١٩٨٦م.



- ابن الحمصي، أحمد بن محمد بن عمر الأنصاري، حوادث الزمان ووفيات الشيوخ والأقران، تحقيق عبد العزيز فياض حرفوش، بيروت: دار النفائس، ٢٠٠٠م.
- ابن إياس، محمد بن أحمد الحنفي، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق: محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٥م.
- ابن بطوطة، محمد بن عبدالله، رحلة ابن بطوطة: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، بيروت: دارالفكر، ٢٠٠٢م.
- ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق: فهمي محمد شلتوت، القاهرة: المكتبة العربية للمعارف، ٢٠٠٨م.
- ابن شاهين، عرس الدين خليل الظاهري، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، تحقيق: بولس راويس، باريس: المطبعة الجمهورية، ١٨٩٤م.
- ابن طولون، شمس الدين محمد بن علي بن أحمد، مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، تحقيق: خليل المنصور، القاهرة: المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، ١٩٦٤م.

ب. المراجع:

- الباشا، حسن، الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، القاهرة: دار النهضة العربية، ١٩٦٦م.
- السيد، محمود، تاريخ القبائل العربية في الدولتين الأيوبية والمملوكية، مؤسسة شباب الجامعة، القاهرة، ١٩٩٨م.
- القبلي، عبدالعزيز "تمردات المماليك الجلبان ومدلولاتها السياسية والاقتصادية في عهد السلطان الأشرف قايتباي (٨٧٢-٩٠١هـ/ ١٤٦٨-١٤٩٦م)" مجلة الدراسات التاريخية والاجتماعية، جامعة نواكشوط، ع ٣٩، ٢٠١٩م، ص ٢١١-٢٦٠.
- بول، ستانلي لين، تاريخ مصر في العصور الوسطى، ترجمة: أحمد سالم سالم، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ٢٠١٥م.
- حسن، علي إبراهيم، دراسات في تاريخ المماليك البحرية وفي عصر الناصر محمد بوجه خاص، القاهرة: مكتبة النهضة، ١٩٤٤م.
- دهمان، محمد أحمد، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، بيروت: دار الفكر المعاصر، ٢٠١١م.
- شاكر، محمود، التاريخ الإسلامي، بيروت: المكتبة الإسلامي، ٢٠٠٠م.
- طقوش، محمد سهيل، تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، بيروت: دار النفائس، ١٩٩٩م.
- عاشور، سعيد، العصر المماليكي في مصر والشام، بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٩٤م.
- عبدالنواب، عبدالرحمن محمود، قايتباي المحمودي، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٨م.



العدد ٤٣ - ج ٣ خاص بالمؤتمر العلمي الدولي الأول
لقسم التاريخ / كلية التربية للعلوم الانسانية / جامعة واسط بالتعاون
مع قسم التاريخ / كلية التربية / جامعة ميسان المنعقد في ٢٥ / أيار / ٢٠٢١



-
- عبدالفتاح، سند أحمد "الأمراء البطالة زمن سلاطين الممالك" حوليات أداب عين شمس، م٣٦، ٢٠٠٨، ص٨٥-١٢٦.
 - موير، السير وليم، تاريخ دولة المماليك في مصر، ترجمة: محمود عابدين وسليم حسن، القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٩٩٥م.
 - Glubb, John Bagot, **Soldiers of fortune: The story of the Mamlukes**, London: Hodder & Stoughton Ltd, 1973.
 - Petry, Carl, **Protectors or Praetorians ? : The Last Mamluk Sultans and Egypt's Waning As a Great Power**, Albany: State University of New York Press, 1994.
 - **Twilight of Majesty. The Reigns of the Mamlūk Sultans al-Ashraf Qāyṭbāy and Qānṣūh al-Ghawrī**, Seattle: University of Washington Press, 1993.